الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبوبكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة أبوبكر بلقايد * تلمسان *
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

مكتبة الكلية رقم Fac LLT
تاريخ
الرقم 01825

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

- تخصص حضارة عربية إسلامية

عنوان المذكرة:

الشّعر المغربي والحضارة الزيانية

من إعداد الطالبة:

بوعياد فضيلة

تحت إشراف:

أ. الدكتور محمد مرتاض

السنة الجامعية

2010-2011 الموافق لـ 1431-1432هـ

TH S_953_25/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد - تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

- تخصص حضارة عربية إسلامية -

عنوان المذكرة:

الشّعر المغربي والحضارة الزيانية

من إعداد الطالبة:

بوعياد فضيلة

تحت إشراف:

أ. الدكتور محمد مرتاض

السنة الجامعية

2010-2011 الموافق لـ 1431-1432هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعاء الافتتاحي

﴿ربّ اشرح لي صدري
ويسّر لي أمري واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي﴾.

شكر وتقدير

أشكر الله العلي القدير
الذي وفقني إلى انجاز هذا
العمل راجية منه سبحانه
وتعالى أن يجعله نافعا في الدنيا
ويجزيني التواب في الآخرة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل والاحترام الكبير إلى الأستاذ المشرف الدكتور محمد مرتاض الذي ساعدني كثيرا على انجاز هذه المذكرة وقد استفدت من التوجيهات والنصائح التي كان يقدما لي وهو يتبع خطوات البحث، كما أن لم يبخل علي في تزويدي بالمراجع المتعلقة بهذه المذكرة، فله من خالص التقدير والولاء على الوقت الثمين الذي أهدتني إياه.

كما أشكر أعضاء لجنة المنافسة الموقرة الذين شرفوني بمناقشة هذه المذكرة.

واشكر أيضا كل من ساعدني في انجاز هذه المذكرة، ولو حتى بالكلمة الطيبة الخالصة من الأفئدة.

إهداء

- إلى أعز ما عندي في الدنيا الوالدين، وخاصة أبي الذي كان سندا لي.
- إلى عمتي اللتان كانتا دعما لي، وبجانبي على طوال هذه الفترة
- إلى أخي الوحيد، وأخواتي
- إلى صديقاتي: فتيحة، أسماء، نصيرة، مريم
- إلى من أدين لهم بالفضل في نجاحي إليكم أساتذتي الكرام
- وإلى كل طلبة قسم الآداب واللغات الذين يزاولون الدراسة معي تخصص حضارة عربية إسلامية بجامعة تلمسان.

فضيلة

المقدمة

مقدمة:

إن الأدب المغربي لم يحظ بالدراسة بقدر ما حظي صنوه المشرقي بالبحث والدراسة والتمحيص وذلك باعتبار المشرق منبع الثقافة العربية ومنطلق الفتوح الإسلامية ومنه انتشرت العلوم والآداب والفنون، وحتى الباحثون الذين درسوا الأدب المغربي لم يتعرضوا في دراساتهم إلى كل فتراته وإنما توقفوا عند الفترات التي كانت فيها دويلات المغرب العربي قوته سياسيا واجتماعيا كدولة الفاطميين ودولة الموحدين بينما الدويلات الأخرى وخصوصا تلك التي جاءت بعد الموحدين كالدولة الحفصية والزيانية والمرينية فلم يتعرض الدارسون لها، لهذا ارتأينا أن يكون موضوعنا مزيجا ما بين الأدب والحضارة تحت عنوان: " الشعر المغربي والحضارة الزيانية".

قد يكون من الصعب تحديد أسباب اختيارنا لهذا الموضوع، لأن الاختيار لا يكون نتيجة عامل محدد وإنما لعدة أسباب منها:

أسباب موضوعية: وهي أن الأدب المغربي بشقيه النثري والشعري لم يحفل بالدراسة، وكذلك الحضارة الزيانية هي أيضا لم تجد بعض المضياء لتكمل طريقها، إذ أننا نجد بعض النتفات التي تناولت هذا الجانب.

أسباب ذاتية: وذلك بحكم أنني في تخصص آداب وحضارة، ارتأيت أن يكون موضوع بحثي بهذا العنوان، كما أشار عليا ونصحني الأستاذ الدكتور المحترم المشرف أن أجوب هذا الموضوع.

مما لا ريب فيه أن الدراسات السابقة على هذا البحث كثيرة إذا عدنا إلى المكتبات المشرقية، ولكنها شبه منعدمة إذا تصفحنا مكتباتنا الجزائرية، أضف إلى ذلك أن هذه الشعبة التي تخصصنا فيها تعد رائدة في مجال الأدب والحضارة، وهذا ما يجعل البحث عن موضوع بهذا الشكل عسيرا.

يتعرض البحث لمجموعة من التساؤلات لعل أهمها:

بماذا امتاز الأدب المغربي قبل العصر الزياني؟، وكيف كانت الحضارة الزيانية بتلمسان؟، هل تركت آثارا خلفتها للعيان؟

وهل هناك عوائق حالت دون نشأة الأدب المغربي وما هي؟

والمنهج المقترح لهذا البحث يقوم على:

المنهج التاريخي: وذلك لتقص تاريخ الأدب المغربي، الشعر المغربي، كيف كان؟ ونشأته؟

والمنهج الوصفي القائم على التحليل الذي قام على تتبع الحضارة الزيانية كيف كانت، وأيضا كان دور مؤسسها العبد الوادي اليغمراسي-يغمراسن بن زيان- في تأسيس الدولة.

وأنهيت البحث بخاتمة بسطت فيها مجموع النتائج المتوصل إليها.

وأما من حيث الصعوبات التي واجهتني، فهي أن كل بحث لابد أن يكون موسوما بصعوبات، لكي تميزه، فقد واجهتني صعوبة قلة المصادر المغربية وذلك لقلتها لأنها تعد شبه منعدمة فحاولت أن أصل إلى بعض الدراسات لكن ذلك لم يكن سهلا غما أن يكون مخطوطا لم نحصل عليه وإما في دار النشر و لم يلنا بعد، وقد أعانني الدكتور المشرف بالمراجع و لم يبخل عليا، فله من خالص الولاء والتقدير.

أما المصادر المعتمدة عليها في البحث:

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لابن زكرياء يحي بن خلدون حوالي (743هـ-1333م /- 780هـ-1378م).

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (732ه-808م) (1332هـ-1406م). ويتضمن هذا الكتاب معلومات مهمة في تاريخ دويلات المغرب العربي بما فيها دولة بني عبد الواد.
- كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان لصاحبه أبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي التلمساني، الذي ولد بتلمسان سنة 830هـ ونشأتها، قام بتحقيق هذا المقتطف محمود بوعياد سنة 1985.

وأما المراجع العربية المعتمد عليها في البحث فهي كالآتي:

- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، لصاحبه مبارك بن محمد الميلي، الذي قدمه وصححه هو نفسه أي محمد الميلي.
- تاريخ الأدب الجزائري لمؤلفه محمد الطمار، الذي قام بتقديمه الأستاذ الدكتور عبد الجليل مرتاض.
- تلمسان عبد العصور لصاحبها محمد بن عمرو الطمار حيث يتناول هذا الكتاب معلومات مهمة عن الدولة الإدريسية عندما كانت مستقلة بتلمسان، وخاصة عن مشاريع يغمراسن في تلمسان حيث قام بدور مهم في تأسيسها.
- وأما الخطة المتبعة في هذا البحث فتشمل فصلين مسبوقة بمقدمة ومذيلة بخاتمة، وبقائمة للمصادر والمراجع وفهرس للمواد.
- تطرقت في الفصل الأول إلى الحياة الثقافية، وكذلك نشأة الأدب المغربي في الديار المغربية، وعوائق نشأة الأدب المغربي.

وخصصت الفصل الثاني للحضارة الزيانية وآثارها، فتكلمت عن أصل بني عبد الواد، وكيف كان دور يغمراسن بن زيان في تأسيس هذه الدولة، وآثار العبد الوادية بتلمسان، أضف إلى ذلك أنني تناولت أثر المجتمع الأندلسي في المجتمعات التلمسانية.

وفي الأخير أتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي المشرف الدكتور محمد مرتاض، الذي ساعدني بتوجيهاته القيمة، وأرشدني بملاحظاته الهامة.

وعزائي في الأخير قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من اجتهد وأصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر واحد" وحسبي أني اجتهدت وسبحان من" "لا تأخذه سنة ولا نوم".

تلمسان في يوم: 19 رجب 1432هـ

الموافق لـ 21 جوان 2011م

بوعياد فضيلة

الفصل الأول

لمحة عن الأدب المغربي قبل العصر الزياني

- الحالة الثقافية
- نشأة الأدب العربي في الديار المغربية
- عوائق نشأة الأدب العربي

الحالة الثقافية:

لم تبدأ الجزائر نهضتها الأدبية، إلا في القرن الثالث على عهد الرستميين، فهؤلاء الأمراء كانوا مثقفين مكلفين ببث العلم في رقعتهم.[1]

ونشأت الدولة الرستمية في بداية تاريخ المسلمين لما كان من إقبال المنصور العباسي فمن بعده على تجهيز المسلمين بالعلوم والمعارف، بعدما قضوا لبناتهم من الأدب العربي، وبلغوا فيها الدرجة السامية أيام بني أمية.[2] فلقد ازدهرت الدولة الرستمية، وأصبحت بتيهرت العاصمة العالمية للمذهب الخارجي، يؤمها الخوارج من جميع الأرجاء، فأضحت بذلك مركزا ثقافيا يضاهي بغداد وقرطبة، فنجد أن الجزائريين نبغوا في الثقافة وخصوصا الثقافة الدينية، كما أن الأئمة الإباضيين كانوا علماء، بل و رؤساء مذهب.[3]

فقد تميز حكام الرستميين عن كثير من أمثالهم من الحكام المسلمين، بأنهم كانوا من المشاركين قي النهضة العلمية، ولاسيما في المسائل الفقهية والدينية، كما كانوا يستحقون العلماء والمفكرين، فقد كان مؤسس دولة الرستميين من كبار العلماء في عصره، حيث ينسب إليه تفسير القرآن الكريم، وديوان خطب ورسائل اخوانيات، كما أن لابنه وخليفة الإمام عبد الوهاب كتاب فقه سماه "مسائل جبل نفوسة".[4] الذي يجيب فيه على أسئلة النفوسيين التي جاءت في حوالي ثلاثمائة سؤال،وقد نحا ابنه أفلح بن عبد الوهاب فألف كتابا سماه "جوا بات الإمام أفلح،كما كان من أكبر المؤسسات العلمية والثقافية في تاهرت مسجدها الجامع وهو بمثابة مدرسة اباضية، وقد ازدهر الأدب أيام

---

[1]- ينظر تاريخ الأدب الجزائري : محمد الطمار، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م , ص71 .

[2]- ينظر الأدب العربي علي عهد الدولة الرستمية: عويشة صانف، مذكرة ماجستير في الأدب المغربي القديم، تلمسان، 1430ه - 2009م, ص8.

[3]- ينظر تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، ص75.

[4] -ا ينظر لمغرب العربي في العصر الإسلامي: محمد حسن العيدروس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008، ص 518.

هذه الدولة بكل ألوانه، وخاصة منها الشعر، والميزة الأساسية في البيئة الأدبية للرستميين أن أئمتهم كانوا أدباء.[1]

"وما يلاحظ أن الحياة الثقافية الفكرية في تاهرت كانت مرتبطة بالمشرق خاصة في بداية الأمر، فقد وقعت مراسلات مع علماء المذهب في المشرق، وأرسل الرستميون لشراء الكتب، كما أن تسامح الأئمة وحرية الفكر، جعلت منها مركز للدراسات الإسلامية".[2]

لقد تأثر الأئمة الرستمين كثيرا بالخلفاء الراشدين في الإمامة، كما أنهم تأثروا بأدبهم فكانوا ينطلقون من منبع واحد ليصبوا في جدول واحد، منبع الثقافة العربية الإسلامية وجدول المجتمع الإسلامي.[3]

"ومما يلاحظ أن عبد الوهاب أرسل إلي اباضية البصرة ألف دينار ليشتروا بها كتبا، فلما بلغتهم اشتروا بها ورقا استنسخوه كتبا، فكانت تلك الكتب وقر أربعين جملا، كلها أرسلت إليه واتصل بها، وكان بتيهـرت مكتبة تدعي المعصومة قد حوت ألافا من المجلدات، ولما دخلت الشيعة بتيهرت أحرقوا مكتبتها ما عدا كتب الرياضيات والصنائع والفنون الدنيوية.[4] كما ذكر الشيعي أنه وجد صومعة مملوءة كتبا من بينها

---

[1]- ينظر الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة و الرستميين خلال القرنين 2و3هـ-8و9م، محمد عليلي، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، قيم التاريخ، تلمسان، 2008م، ص57 .

[2]-العلاقات الخارجية للدولة الرستمية: جودت عبد الكريم يوسف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص57.

[3]-النثر الجزائري القديم من القرن الثاني هجري إلى نهاية القرن الخامس هجري : أمينة بن عديس، مذكرة ماجستير في الأدب المغاربي، تلمسان، 2008م، ص107.

[4]- تاريخ الجزائر القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، ج2، تقديم وتصحيح محمد. المبلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1932م، ص77.

ديوان تاهرت ووصف هذه المكتبة بأنها كانت تزخر بالكتب المتعددة في مختلف العلوم والفنون". [1]

"فقد ذكر الدرجيني أن بني رستم شملوا الثقافة والأدب برعايتهم,فنهضت نهضة كبيرة في تاهرت ونواحيها، فقد قال أبو زكريا عن بني رستم كان بيت الرستميين بيت العلم في فنونه من الأصول والفقه والتفسير وعلم اختلاف الناس وعلم النحو والإعراب والفصاحة وعلم النجوم، وأضاف قائلا وبلغنا أن بعضهم قال: معاذ الله أن تكون عندنا امة لا مترلة يبيت فيها القمر."[2]

"ومما يجدر الذكر أن الفعل الثقافي على عهد الرستميين كان مؤسسا على الاختلاف والقدرة على التعايش – تعايش الأفكار- ولم يكن مؤسسا على إلغاء الصوت المخالف.

فيقول ابن الصغير في كتابه أخبار أئمة الرستميين:...من أتى حلقات الاباضية ناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى الاباضية إلى حلقات غيرهم كان سبيله ذلك,فلقد ساهم هذا التلاقح الفكري بقسط وافر في تطوير الحركة العلمية والفكرية والثقافية في الجزائر على عهد الرستميين"[3]، فنرى هذا التزاوج الفكري الحضاري بين كل من العاصمة التيهرتية وجارتها القيروان، فكان هناك تأثير وتأثر متبادل عن طريق شعبي أي التجار والحجاج والعلماء، كما أن الطائفة القروية في تاهرت ساهمت في ذلك كما رحل آخرون من القيروان وسائر المغرب الأدنى إلى تاهرت.[4] "وكانت تسمي عراق

---

[1]-العلاقات الخارجية للدولة الرستمية: جودت عبد الكريم يوسف، ص109.

[2]- النثر الجزائري القديم من القرن الثاني هجري إلى نهاية القرن الخامس هجري : أمينة بن عديس، ص9.

[3]-الفضاء المغاربي(مجلة):محمد مرتاض، إصدار مخبر الدراسات الأدبية والنقدية إعلامها في المغرب العربي، ع-01، تلمسان، جوان 2002، ص28-29.

[4]-العلاقات الخارجية للدولة الرستمية : جودت عبد الكريم يوسف، ص 111.

المغرب أو بلخ المغرب".[1] "شهدت المغرب – فاس – حركة علمية وأدبية نشيطة، فان إدريس نفسه كان شاعرا فصيحا بليغا، أديبا عالما بكتاب الله قائما بحدوده راويا للحديث،كما كان مولاه راشد عالما بالعلوم العقلية والنقلية من فقه وحديث وتفسير وبلاغة، وبالعلوم السياسية، و لم يكن إدريس الثاني يقل عنهما علما، فقد أورد ابن الابار نماذج من شعره، كما أنه أشار إلى بلاغة القاسم وقدرته على قول الشعر، وقد ازدادت الحركة العلمية والثقافية نشاطا بفضل من وفد إليها من القرويين والأندلسيين، وكذلك الدور الذي لعبه مسجد القرويين في فاس".[2]

"ولقد كان من بين الأمراء الأدارسة الذين ولدوا بالمغرب من كان يقرض الشعر فقد نسبت أبيات كثيرة للمولى إدريس، كما نسبت قطع شعرية لابنه القاسم,لما يضيق البكري شهرة ابن القاسم أحمد بالعلم فمنذ التحاق الادارسة بالجزائر كان لها تأثير في المجتمع الجزائري من جهة نشاطهم في نشر الإسلام، كما أنهم حببوا اللغة العربية إلى البربر جميعا".[3]

وما يلاحظ على هذا أن الأدارسة كان لهم انبثاق ومساهمة لما كان لهم دور فعال في تنشيط الحركة الأدبية بين الشعوب الأجنبية، خاصة البربر الذين اعتنقوا الإسلام وأصبحوا يجيدون اللغة العربية، وهذا كله بفضل تسامح الدين الإسلامي، مما يجدر الذكر أن الادارسة يعود نسبهم إلى فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم – وهذا دلالة على تقوية العزيمة في نفوس البربر، ودخولهم الإسلام.

"وقد بدأت الحركة الفكرية والثقافية في الإمارة الأغلبية تظهر منذ ظهور الإسلام في مناطق معينة من أرض العرب، وذلك لوجود ظروف سياسية ودينية مناسبة ومساعدة

---

[1]- تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، ص73.

[2]- العلاقات الخارجية للدولة الرستمية : جودت عبد الكريم يوسف، ص 199.

[3]-الأدب ألمغاربي إشكاليات وتجليات: إبراهيم المسدلي ومحمد الظريف، ص195

على ذلك".[1] فعدت القيروان أهم مركز الإشعاع الثقافي بالمغرب منذ نشأتها، بما توفر له من أسباب الاتصال المباشر بالمشرق، مهد الثقافة العربية الإسلامية، بحكم موقعها الاستراتيجي، وباعتبارها مقر الوالي، ممثل الخليفة الرسمي، لذلك كانت نسبة انتشار التعليم بها أكثر من بقية البلدان الأخرى، فمن أهم العوامل التي ساعدت على نشر الثقافة وازدهارها بالقيروان والحواضر الإفريقية الأخرى، في العهد الأغلبي، هو ما كان يتحلى به أمراء هذه الدولة من ثقافة واسعة، وقد كانوا كلهم شعراء حتى أن قيل عنهم:"لا يوجد واحد منهم، لم يقرض الشعر الجيد في سائر أغراضه، سواء منهم من تولى الحكم أو لم يتوله".[2]

"ولقد شهدت القيروان حركة علمية نشيطة,إذ ما كاد العرب ان يستقروا في افريقية، حتى شعروا بحاجتهم لتعليم أبنائهم، وأبناء مسلمي البربر، فانتشرت الكتاتيب واتسعت حلقات الدراسة في المساجد، وقد ساعد على هذا النشاط اهتمام الخلافة بإفريقيا وانتقال العرب إليها بأعداد هائلة، وانتشار الأمن والرخاء، واعتناء أمراء وأغنياء العرب بها، تجلى بتشجيع الأساتذة والتلاميذ".[3]

"إن القيروان منذ أسست أخذت تستقبل الفقهاء والوعاظ لأنها كانت مركز الوالي، ولكن لم ينتصف القرن الثاني حتى أخذت مدن الزاي تقلد عاصمة افريقية الكبرى في العلوم الدينية واللسانية والأدب، فنشطت طبنة وصارت قاعدة الجزائر الشرقية في الحركة العلمية والأدبية، وكان أهل العلم سواء، في القيروان أو في طبنة وغيرها من مدن الزاب، كانت عيونهم متجهة نحو الشرق في اقتباس حضارتها وفي تغذية

[1]-المغرب العربي في العصر الإسلامي:محمد حسين العيدروس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط 1، 2008م، ص525.

[2]- ينظر، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية: جودت عبد الكريم يوسف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص110.

[3]- الأدب المغاربي إشكاليات وتجليات: إبراهيم المسدلي ومحمد الظريف، ص195

عقولهم بثقافتها العلمية والفني، فتضاعفت رحلاتهم فبدؤوا ينهلون من حياض الثقافة الإسلامية في الحجاز والشام والعراق ومصر، بحيث لم ينتصف القرن الثالث حتى تكون شيوخ قي مختلف العلوم".[1]

"مما يلاحظ عن كتب التاريخ" أن مدن الزاب وغيرها من مدن المغرب العربي لم تكون نفسها بنفسها،كما أنها رمت بنفسها في أحضان الشرق وانتهلت منه ثقافة وقامت بتغذية عقولها من المشرق، ولهذا لا نلمس وجود ثقافة أدبية ذات طابع مغاربي بل فقط مشرقية محضة، لقد التف في عصر الاغالبة جاليات من أبناء الأندلس والمغرب وافريقية وطرابلس وبرقة وصقلية وغيرها من البلدان لينتهلوا من علم جامع القيروان ولقراءة أهم الكتب التي أنتجها القيروانيون بأنفسهم,فنجد كتب التفسير لمحمد بن عبد السلام، وكتب الطب لابن الجزار وإسحاق بن عمران، كما وجدت مشاركة المرأة فعالية في التعليم والتدريس أمثال خديجة بنت سحنون تدرس في جانح وأبوها في جانح آخر.[2]

"كما اشتهر في علم الأدب أبو عبد الله ابن قاضي ميلة، فأسسوا الاغالبة المكتبات والمدارس، فانطلقت الأفكار، وانتشرت العلوم والمعارف وترقت الآداب".[3]

"كان من حسن حظ الأدب أن اشرف على تأسيسها عالم أديب، ومثقف بارع هو إبراهيم بن أغلب الذي كان يجيد الترسل والشعر، أضف إلى ذلك كان يجيد السياسة, وداهية في تدبير الحروب، وهو أحد الأمراء الذين امتازوا بالأدب والسياسة".[4]

---

[1]- تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م، ص87.

[2]-ينظر:المغرب العربي: تاريخه و ثقافته:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص69.

[3]-تاريخ الأدب القديم والحديث:مبارك بن محمد الميلي، ج2 ، تقديم وتصحيح محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، 1932م، ص124.

[4]-المغرب العربي تاريخه وثقافته:رابح بونار، ص107.

"فنجد أن ابن الأغلب عندما لاذ ابن عمه تمام بن تميم بالفرار من مواجهته في المعركة وتفوق أعوان ابن الأغلب عليهم, قال بن الأغلب شعرا في حق أبن عمه:

لو كنت لقيت تماما لصال به ضرب يفرق بين الروح والجسد

لكنه حين شام الموت يقدمني ولى فرارا و خلى لي عن البلد

أن يستقم نعف عما كان قدمه وان يعد بعدها في غدرة نعد

نستنتج أن إبراهيم بن الأغلب كانت له ناصية اللغة ومقدرة على قول الشعر، وكذلك النثر، فملك القدرة على المجابهة وقول الشعر".[1]

وفي عهد الأمير الاغلبي إبراهيم الثاني، تم بناء دار الحكمة وكان ذلك سنة 265 هجرية 878 ميلادية في القيروان كتلك التي أنشئت في بغداد وهي مؤسسة تدرس مختلف العلوم فاستقدم إليها علما، من المشرق، فلقد ورث الاغالبة رصدا كبيرا من العلوم الدينية نتيجة لظهور علماء وفقهاء وأدباء، بثوا علومهم في القيروان منذ الفتح الإسلامي إلى غاية تأسيس الدولة الأغلبية، فاعتمد المغاربة في البداية علي المؤلفات الفقهية المشرقية لما ذكرنا ذلك أنفا، لكن فيما بعد استقلوا بإنتاجهم الفقهي، ويظهر ذلك من خلال التأليف والمصنفات المغربية.[2]

"فنجد أن شيوخا درسوا في الفقهيات، ومن بين الجزائريين الذين نبغوا وشاركوا في تلك الحركة التي توجه إليها العلماء لنهل معارف وثقافة الشرق، نجد أبو القاسم الزواوي الذي روي عن ملك بن انس وأخذ عنه (أبو العرب) صاحب طبقات علماء افريقية، كما نجد الفضل بن سلمه بن جرير الجهني البجائي الذي نشأ ببجاية و تعلم بها،

---

[1]-محاضرات في الشعر المغربي القديم:عبد العزيز نبوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص57.

[2]- الإشعاع الفكري في عهد الأغالبة والرستميين خلال القرنين 2و3ه-8و9م، محمد عليلي، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الوسيط، قسم التاريخ، تلمسان، 1429ه 2008م، ص111.

ولم يكفه ما أخذ من العلم فأراد أن يتبحر فيه، فدخل القيروان، فلقي بها ابن مجلون وأحمد بن سليمان".[1]

وظاهرة الثقافة الفقهية ودراسة الأحكام والقوانين الإسلامية كان لها الغلبة والتقدم,فبينما نجد عشرات من الفقهاء في كتاب التراجم لا نجد إزاءهم من الأدباء والأطباء إلا أفراد قلائل تخصصوا بفن من فنونهم، وقد نبغ أولئك الأدباء أيضا في الفقه، وربما هذا راجع إلى شيئين أحدهما كان ناتج عن ظاهرة اجتماعية فاسدة وهي أن افريقية "والمغرب في ذلك العهد كان بحاجة إلى مباحث فقهية دينية تنظم شؤون البلاد الاجتماعية"[2].

"اعتمد الأمراء المرابطون بالحركة الثقافية منذ أن وطئت أرجلهم بالمغرب الأقصى، واستقروا بها، فاهتموا بالنشاط العلمي، كما أنهم شجعوا الحركة الفقهية[3]، فلقد كان المذهب المالكي يحتل أعلى منزلة في المغرب، وأصبح الاشتغال بالمسائل الفقهية أهم ما يعني به العلماء"[4].

"كان طبيعة المرابطين الصحراويين تبعدهم عن التشبث برجال الأدب والفلسفة، كما أن ميولهم الدينية لم تصل إلى درجة اضطهاد الفلاسفة أن التمكين بهم، كما حدث في جهة أخرى فنجد ان الحركة الفقهية بالمغرب كان على مذهب مالك ازدهرت كثيرا، وعقدت المجالس الحافلة في سبتة وفاس للمناظرة فيه، وامتزجت دراسة الفقه بعلم الأصول، كما أن المرابطون عنوا بدراسة التصوف، فإذا نظرنا في كتاب التشوق لابن الزيات أدركنا مدى هذه العناية كما أن التصوف في هذا العصر كان زهدا ورياضة لا

---

[1]- تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، ص88.

[2]-المغرب العربي: تاريخه، وثقافته، رابح بونار، ص 70

[3]- المرجع نفسه، ص 334

[4]- ابو حمو موسى الزياني: حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيات، الشكة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1984، ص38

تصوفا فلسفيا، كما حدث في العصر الذي بعده وذلك عندما أنكر الفقهاء على الغزالي كتابه الأحياء وأحرقوه"[1].

نجد أن يوسف بن تاشفين فضلا عن حسن اختياره لقادته، يحسن اختيار معاونيه من الكتاب،فلقد ازدان بلاطه بطائفة من كتاب الأندلس أمثال عبد الرحمان بن أسباط كان أديبا أندلسيا، وكان هذا الأديب قد نشأ نشأة أدبية مغمورة، اشتغل في باب الديوان بألمرية أيام بني صمادح، ولقد كان هذا الكاتب الأندلسي يجيد البربرية التي كان يتقنها يوسف فهو لم يكن يعرف العربية، كما بعد وفاة هذا الكاتب، تولى كاتب آخر "زمام الكتابة لدى يوسف وهو محمد بن سليمان بن القصيرةالمعروف بابي بكربن القصيرة ويعد من أعظم كتاب الأندلس فيصفه ابن الصير قائلا: الوزير الكاتب الناظم الناثر القائم بعمود الكتابة والحامل للواء البلاغة ،الذي لا يشق غباره ولا تخمد أنواره اجتمع له براعة النثر وجزالة النظم"[2]. "وعند استخدام يوسف لهذين الكاتبين الأندلسيين البليغين وبالرغم من عدم معرفته باللغة العربية دلالة على حصافته وبعد نظره وإدراكه لأهمية الأساليب العالية في الترسل وقد كان ثمة بين يوسف وأكابر فقهاء المشرق مراسلات كثيرة، ومن جهة أخرى كانت المراسيم المرابطية تصدر في أحيان كثيرة باللغتين البربرية والعربية" [3].

"كما أن تلمسان في عهد المرابطين كانت مقر الولاة على المغرب الأوسط وقد قصدها واستقر بها كثير من" العلماء وخصوصا الفقهاء الذين كان بيدهم الحل والعقد في ايامهم .

---

[1]- المغرب العربي: تاريخه، وثقافته، رابح بونار، ص 335

[2] -دولة الإسلام في الأندلس: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990، ص 53

[3]- المرجع نفسه، ص 54

فنجد الشاعر ابن البناء يخاطب المرابطين فيقول :

تملكتم الدنيا بمذهب مالـــــك وقسمتم الأموال بابن القاسم

وركبتم شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صبغت لكم في العالم"[1]

بحكم ان المرابطين عرفوا بالتفوق والصلاح والزهد والخشونة و هذه الصفات لا بد منها في إعلاء كلمة الله لكن لم يفكروا في إنهاض العلوم والآداب، بل كثيرا ما كانوا حربا على المعرفة بدعوى أنها أمر ضار بالدين الإسلامي ،كما أن معظم الأدباء الذين كانوا "مستوردين من الأندلس لم يكونوا وسيلة لنشرا لمعارف والآداب بين الشعب فلهذا ظلت الحياة العلمية والأدبية بالمغرب في عهدهم في حالة جمود"[2].

"يمثل ظهور الموحدين من الناحية الفكرية نوعا من الاحتجاج على المذهب المالكي المتشدد في تناوله القضايا الشرعية وهذا المذهب الذي كان منتشرا بين ربوع المغرب العربي وغرب أفريقيا السودان الغربي فلقد كان البلاط الموحدي أحد المراكز الراقية للفنون و العلوم فضلا عن ذلك فإن الفلسفة الإسلامية لم تحقق آخر ازدهار لها إلا على أيامهم"[3]. كما أن الموحدون استعملوا اماكن التعليم التي عرفت قبل عصرهم كالكتاتيب والمساجد، والرباطات والزوايا،،فقد أسس عبد المؤمن دارا لتعليم البحرية و أخرى لتعليم إدارة الأقاليم"[4] فلقد كان عبد المؤمن عالما أديبا

[1]- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص 66

[2]- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي: عبد الله علي، وزارة الثقافة الجزائر، 2007، ص 318

[3]- المغرب العربي في العصر الإسلامي: محمد حسن العيدروس, دار الكتاب الحديث, القاهرة, 2008, ص 190.

[4]- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي: عبد الله علي، ص 291

"وكان الأدباء لا يفارقونه في السلم ولا في الحرب[1]، كما أنه كان إماما في النحو و اللغة حافظا للتاريخ وشاعرا ينظم الشعر الجيد وقد أورد لنا صاحب روض القرطاس له مطارحة شعرية مع وزيره ابن عطية، وذكر صاحب الحلل الموشية، أن عبد المؤمن حينما هنأه أبو عبد الله الحياني يوم انتصاره على المرابطين بفحص مراكش بقصيدة قالها في حقه أولها:

أضاءت لنا الأيام واتصل النجح وكاتب وجوه الدهر مسودة كلح

أجابه عبد المؤمن بقوله :

هو الفتح لا يجلو غرائبه الشرح أصاب بني التجسيم من بأسه طرح

أشنابه البشرى على حين غفلة بمهلك قوم كان وعدهم الصبح"[2]

لقد اتخذ عبد المؤمن قرارا وهو الا يجعل على رأس ولايته إلا المثقفين ، فقد ربى الحفاظ بحفظ كتاب الموطأ، وكان يدخل هؤلاء الطلبة المثقفين، كل يوم جمعة بعد الصلاة داخل القصر وكان عددهم حوالي ثلاثة آلاف[3].

"اتصف الموحدون الأوائل بالأدب، كما دعوا قبل كل شيء إلى الاعتناء بالأصول أي القرآن والحديث وإلى ترك الفروع وما ألف فيها"[4]،"كما أن الإصلاح الديني الذي حاول الموحدون تطبيقه في المغرب ترك آثارا هامة في تطور الحياة الدينية وكان من نتائجه البارزة، ذيوع كتب الغزالي في سائر أقطار المغرب، وكتب غيره من الأشاعرة أمثال الباقلاني و الجويني. كماكان يستعمل تدريس العلوم الدينية، بالمغرب الأوسط

---

[1]- تلمسان عبر العصور : محمد بن عمرو الطمار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 60

[2]- دولة الإسلام في الأندلس: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس: محمد عبد الله عنان، ص 403

[3]- ينظر: تلمسان عبر العصور: محمد بن عمرو الطمار، ص 61

[4]- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي: عبد الله علي، ص 332

كتب التفسير لكتاب الكشاف للزمخشري والتهذيب للبيهقي، وفي الفقه المالكي كتاب الموطأ"[1].

"فلقد عرف العهد الموحدي تشجيعا للأدب وكما وجد أعلاما في الأدب فكان ابن تومرت الأب الروحي فقد تبحر في علوم الدين والأدب والشريعة ناهيك أن ذلك العهد عرف حركة ثقافية نشيطة ،فقد وجد أعلام برزوا في ذلك العصر أمثال أبوا عبد الله محمد بن حبوس(ت570هجرية)وأيضا أبوا العباس أحمد ابن عبد السلام الجراوي"[2].

"بقي الأدب مزدهرا أيام الموحدين و لم تنطفئ جذوته على دهر الزيانيين"[3]، لقد استفادت تلمسان من حكم المرابطين والموحدين الذين هياوا لها المناخ لكي تتبوأ مركزا هاما ومكانة معتبرة في المغرب الأوسط، إلا أن شهرتها وتطورها، ازدهارها في "مختلف المجالات ارتبط ارتباطا عفويا بالأسرة الزيانية التي خلفت الموحدين في قيادة المدينة و المغرب الأوسط"[4] .

نشأة الأدب العربي في الديار المغربية :

"إن هذا الموضوع في عمومه لم يهتم به كثيرا من لدن القدماء، وإن اهتم به وكتب لم يصل إلينا"[5]، "فقد تجاهل الدارسون والمؤرخون للأدب في المغرب العربي البدايات الأولى له"[6]، "فهو مثل شأن تعريب السكان –نشأة الأدب العربي- أي

---

[1]- أبو حمو موسى الزياني، حياته وآثاره: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 35

[2]- أدب المغرب العربي قديما، عمر قينة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 100

[3]- تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص 50.

[4]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، ص 98

[5]- الشعر المغربي : من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والادريسية العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د-ط، 1994، ص 34

[6]- الفضاء المغاربي: (مجلة) محمد مرتاض إصدار مخبر الدراسات الأدبية والنقدية أعلامها في المغرب العربي ع-01 جوان 2002، ص 05

الغموض الذي أحاط بهذا العصر، يحيط به كذلك، فهنا تثار قضية على جانب من الأهمية وهي تتمثل في السؤال التالي :أي أدب مغربي نقصده في هذه المرحلة، أنقصد الأدب الذي عبر عنه باللسان العربي، سواء كان من قبل الفاتحين، أم نقصد الأدب الذي أعطته العربية على ألسنة أبناء المنطقة بعد تعريبهم ؟أم هو الأدب الذي أنشأه المولدون في المغرب العربي ؟

وللإجابة عن السؤال بشقيه نحتاج إلى القول بأن الأدب له خصائص معينة، ومنه تلك التي تعطيه الأرض والعادات والتقاليد، وهذه بالنسبة للفاتحين لا يدركون منها القليل أو الكثير، كما أنهم نشاوا وتربوا في بيئة غير البيئة المشرقية ، فهم يحملون خصائص بيئتهم بإيجابياتها وسلبياتها، ويحملون أغراضا ناضجة ،كاملة عاشوها في بيئاتهم هذه"[1] .

"لقد أسهمت عدة عوامل في تأسيس الأدب المغربي، من هذه الأسباب نذكر سببين على الأقل:

1"- تقدير المغاربة المسلمين للقرآن الكريم وإقبالهم على لغته، وتأثرهم بإعجازه.

2-تهجير أفواج من المغاربة إلى المشرق حيث مكثوا زمنا قبل أن يعودوا إلى ديارهم و قد أتقنوا اللغة العربية، وربما تبحر بعضهم فيها"[2] .

"فبدأت الخيوط الأولى لفجر الأدب المغربي منذ الفتح الإسلامي للمغرب ،فقدعرف عصر الفتوح والولادة أو عصر النشوء الثقافي ،شذرات من الأدب المغربي قالها أدباء بعضهم من الطارئين على المغرب العربي ،كان بمثابة المشعل أو المضياء الأولى لها تنير درب الدجى، وكان هذا الأدب على قلته ، يعبر بصدق عن مشاعر الشعراء

[1]- مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د-ط، 1986، ص 65

[2]- الفضاء المغاربي: (مجلة) محمد مرتاض إصدار مخبر الدراسات الأدبية والنقدية أعلامها في المغرب العربي ع-01 جوان 2002، ص 05

وأفكارهم"[1]، "كما طفقت تنتشر أيضا اللمسات الأولى لهذا الأدب ابتداء من تأسيس دولة الأدارسة سنة 172هجرية، ودولة الاغالبة بافريقية سنة 184 هجرية"[2]، "كما أن نصوص الأدب العربي ومنه الشعر، لم تكن مختلفة عن بعضها البعض سواء التي قيلت في المشرق أم في المغرب ، لان لغة هذا الأدب واحدة كما ان الموضوع المتناول يكاد يكون واحد في منطقة المغرب العربي"[3].

فإذا ذهبنا مثلا ننقب أو نبحث عن الشعر العربي منذ اقدم المراحل وهي مرحلة الفتوح الإسلامية ،لا نعثر على أي شيء منه هذا ما يتوجه به بعض الباحثين ويعللوا في نظريتهم إلى أن جل أو معظم الفاتحين كانوا من عرب اليمن ،الذين لم يرزقوا الموهبة مثلما إكتسبها العدنانيون، وهي تلك الصليقة على قول الشعر الصافي النابع من الجذور[4].

كما ان اول نص شعري عربي قيل في ديار المغرب العربي في أثناء الفتح هو لعبد الله بن الزبير، والتي خاطب فيها ابنة جرجير وهذه الأبيات هي :

يا ابنة جرجيـــر تمشي عقبتك

إن عليك بالحجاز ربتـــك

كتحملن من مـــاء قربتـــــك

---

[1]- دراسات في أدب المغرب العربي: سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007، ص53

[2]- الفضاء المغاربي: (مجلة) محمد مرتاض، ص 06

[3]- - الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والادريسية العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د-ط، 1994، ص 34

[4]- ينظر: مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د-ط، 1986، ص 67

فقد قال هذه الأبيات: ابن الزبير للأميرة بنت جرجير بعد معركة سبيطلة♦، "التي انتصر فيها المسلمون، واسروا هذه الأميرة، أما عن أول شاعر عربي من مواليد الديار المغربية، النابغين بالعربية بعد الفتح نجد رأيين أحدهما يقترح عليها اسم سابق البربري المطماطي"[1]، وكان شاعرا كبيرا، ومن شعره ما قاله واعظا به عمر بن عبد العزيز:

إن الأمور إذا استقبلتها اشتبهت ... وفي تدبرها التبيان والعبر

والمرء ما عـــاش في الدنيا له أمل ... إذا انقضى سفر منه أتى سفر

لها حلاوة عيش غير دائمـــــة ... وفي العواقب منها المد والصبر

وليس يزجركم ما توعظون به ... والبهم يزجرها الراعي فتزجر

أصبحتم جزرا للموت يقبضكم ... كما البهائم في الدنيا لها جزر

"والآخر هو عبد الرحمن بن زيادة القيراوني (-161هـــ)، تولى القضاء مرتين على عهد بني أمية، ومشى في مناكب الأرض، وتجول عبر بلدان المشرق العربي، واشتد به الحنين إلى موطنه (افريقية)"[2].

"لقد تجلى لنا أن القرن الأول الهجري بالنسبة للمغرب العربي، لم يعط ادبا سواء، كان للفاتحين أو من أبنائه، وأن ما اعتبر من ادب الفاتحين نفسه لا يفي بالغرض كما أنه لا يشفي الغليل وأن في ذات الوقت لا يمكن أن نعده أدبا مغربيا"[3].

"هناك مراحل لتأسيس الأدب العربي في الديار المغربية وذلك فيما يلي :

♦- مدينة أثرية رومانية، ما تزال إلى اليوم في تونس وهي قريبة من الحدود الشرقية الجزائرية.

[1]- الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والإدريسية، العربي دحو، ص 36

[2]- الفضاء المغاربي (مجلة):محمد مرتاض، ص 7

[3]- مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم، العربي دحو، ص 58

1. عصر النشوء الثقافي: ويبتدئ بعد الفتح الاسلامي بقليل أي50هـ وينتهي بقيام الدولة الاغلبية184هـ .
2. عصر النهضة الأدبية الثقافية: ويبتدئ بقيام الدولة الأغلبية (184ه)، وينتهي بسقوطها في أواخر القرن الثالث للهجرة أي سنة (296ه)
3. عصر الازدهار الأدبي الثقافي :ويبتدئ بقيام الدولة الفاطمية وينتهي بسقوط دولة بني زيري على يد الموحدين(296- 547ه)
4. عصر النضج الأدبي الثقافي: ويبتدئ بدولة الموحدين والدول البربرية التي تفرعت عنها كبني زيان بالجزائر (627-958ه)

فهذه اقتراحات بعض الباحثين في رسم هذه المراحل في الديار المغاربية".[1]

"إن دور الأديب المغربي في موقعه الإقليمي لم يبدأ فعلا في البروز الا في القرن الثالث للهجرة وهذه الاعتبارات كثيرة منها: أن القرن الأول بشكل خاص كان فترة الفتح ثم الصراع بين الإسلام والوجود البيزنطي أولا ، ثم بين الولاة والأمراء المحليين من البربر ثانيا ولهذا فإن المناخ الصحراوي لأدب عربي مغربي لم يبرز الا بعدما بدأت تتحدد الملامح في بعدها الحضاري الجديد في القرن الثاني والثالث للهجرة، بعدما هدات الأوضاع نسبيا كما نلمح خطبة طارق بن زياد المعروفة على الساحة العلمية تعدطفرة متقدمة جدا في نشوء الأدب المغربي ليس في مستواها الفكري ولغتها فحسب بل حتى في نوعها ونوعيتها يعد طارق بن زياد من الادباء الوافدين على المغرب العربي كما نجد طائفة أخرى تذكر من بينهم بن ضرار الكلبي الأغلب بن سالم تميمي ويزيد بن حاتم الازدي وسابق البربري عبد الرحمان بن القيروان وسليمان الغافقي وغيرهم".[2]

---

[1]-المغرب العربي :تاريخه وثقافته :رابح بونار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،ط2 ،1981 ص 49-50

[2]-دراسات في أدب المغرب العربي : سعد بوفلاقة، ص 54

"فنجد في الجزائر أنها لحقت بالحركة الثقافة الواسعة التي عرفتها تونس فانفجرت فيها عقول العلماء والمفكرين في مجالات المعرفة المختلفة وحقول العلم المتعددة لمختلف العلوم والفنون".[1]

"فلقد عانى الأدب العربي في هذه الديار المغربية من إهمال وتجاهل في عدة مجالات مثلا مجال البحوث الجامعية وكذلك في مجال كتب التاريخ الأدب العربي التي يزعم أصحابها أنهم يؤرخون لهذا الأدب في العالم العربي على حين أنهم لم يذكروا إلا نتفا له أفكار عربية متينة عينة كما أن الجدير ذكره أن جل الأمراء والملوك الحكام في المغرب العربي كانوا يوافقونها أدبا فقد كان لهم نصيب بالإسهام في الحركة الأدبية تمثل في البدايات الأولى لظهورها و يكادون يكونون هم الغالبية العظمى التي تمثل تاريخ الأدب المغربي لكن هذا لا يسمح بذكر أن نشأة الأدب العربي الديار المغربية قاصت ويلات من المحن لخروجه من قفص الحرمان إلى ضوء الصباح اللامع لهذا نرى أن الأدب المغربي كان له عدة عوائق وقفت في عدم نشأته وكذلك افتقاره من هذا المكسب ووجدناه مهملا مهمشا ومتجاهلا من طرف الدارسين والمؤرخين"[2].

[1]-مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم:العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، دط ،1986 ص 71

[2] الفضاء المغاربي :(مجلة):محمد مرتاض، إصدار مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، أعلامها في المغرب العربي، تلمسان ع-01، جوان 2002، ص 17

عوائق نشأة الأدب العربي:

"لقد تجاهل الدارسون والمؤرخون للأدب في المغرب العربي البدايات الأولى لهذا الأدب"[1] "وهذا راجع لعدة عوائق وقفت حائلا في نشأة الأدب المغربي فهناك نقطتين رئيسيتين في تأخر نشأته في عهوده الأولى وهما:

1. تعثر انتشار اللغة العربية في بلدان المغرب المفتوحة في القرنين الأوليين .
2. صعوبة استتباب الأمن بها.

فلقد تعاقبت على شعوب المغرب حضارات متعددة مثل الفنيقيين غير أنها لم تترك آثار ثقافية تذكر إذا ما قيست بأعمارها الطويلة التي قضتها في هذه المناطق وهذا راجع إلى عدة أسباب: أهمها أن العلاقات التي كانت تربط هؤلاء النازحين بالأهالي كان ينقصها عنصر الالتحام الذي يذيب الكل في بوتقة واحدة ونقصد بهذا العنصر هي اللغة التي بفضلها استطاع العرب أن ينتصروا كما أنه عندما دخل العرب شمال أفريقيا جاءوا معززين بقوتين كانت الأولى تتمثل في الدين الإسلامي الذي رأى فيه الأفارقة خلاصهم من العبودية والاستغلال والثانية كما تحدثنا هي اللغة، فلسفة فلقد شاركت أفواج من البربر لاعتناق الدين الإسلامي"[2].

"كما نضيف جملة أخرى من العوائق والأسباب التي كانت حاجزا أمام نشأة الأدب المغربي في ما يلي:

1. ضياع المصادر المغربية تاريخية وغير تاريخية.

---

[1]- الفضاء المغاربي :(مجلة):محمد مرتاض، ص 05

[2]- الأدب المغربي إشكاليات وتجليات: إبراهيم المسدلي ومحمد الظريف، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2006،ص 182

2. بعد الشقة بين المغرب والمراكز الأدبية القويةفي العراق والشام وهي المراكز التي احتفت بالأدب درسا ونقدا أو تدوينا[1].
3. أولوية شعر البلاط لدى كثير من المهتمين بدرس الأدب".
4. "الضعف النسبي لكثير من شعر الفتوح بسبب ملابساته التي تبعث على العجلة وعدم التنقيح فلقد احتفظ المشرق بقدر من شعر فتوحه ذلك راجع كله إلى وفرة المصادر المشرقية"[2].

"في هذه النقطة تساؤلات عن وضع الأدب العربي في المغرب مفاده كالتالي:

لماذا ظلت صورة الأدب المغربي باهتة في الأدب العربي ؟

يمكن الإجابة عن هذا التساؤل عبر مسارين اثنين أولهما يعود لظروف أسباب تاريخية حالت دون الحضور الفعال للأدب المغربي إلى عدة عوامل أهمها:

-تأثر المغرب في انطلاقة حضارته الأولى فعند تأخر الأدب المغربي في انطلاقته الأولى بالقياس إلى نشأة الأدب العربي بالمشرق والأندلس فلم يعرف الأدب العربي في المغرب تلك النشأة الخاصة التي تمنحه هويته الخاصة وشروطه المعرفية.

-تأخر المغرب في انطلاق نهضته في العصور الحديثة فلقد تأخرت النهضة المغربية الحديثة بسبب ما عرفه المغرب من تسلط استعماري وحصار ثقافي جثم على أنفاس التعليم في المغرب فظلت الثقافة الوطنية محاصرة من طرف المستعمرين ولم تتحقق الاستفادة من التطور الحاصل في الغرب والشرق كما لاحظ الدكتور عباس الجراري أن عوامل الانفتاح على حضارة الغرب وثقافته كانت متشابهة بين المشرق والمغرب"[3].

---

[1]- مدخل في دراسات الأدب المغربي القديم، العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعة، الجزائر د-ط، 1986، ص 67.

[2]- المرجع نفسه، ص67

[3]- الأدب المغربي إشكاليات وتجليات: إبراهيم المسدلي ومحمد الظريف، ص 198

كما لمحنا أن النص الشعري لم نعثر على أي شيء منه وهذا ما أدى إلى ضياعه واختفائه وهذا راجع إلى أسباب أخرى منها:

-"طبيعة السكان التي كانت لا تسمح لهم بتلقف الشعر باللسان العربي وتناوله وتداوله أن الفاتحين أنفسهم لم يستقروا في المنطقة طوال القرن الأول الهجري فكان الفاتحين يتنقلون دوما مما جعل النص الشعري ينتقل معهم ويظل ماكثا في وسطهم"[1] ولم يهضموا الشعر أو غير الشعر بعد وكذلك لم يتعلموا العربية .

-"كما أنه ما يلاحظ إلى اليوم –على سكان المغرب العربي من عدم إحتفائهم بالثقافة الأدبية ومنها الشعرية خلافا لمواطني المشرق الذي يسري الشعر في عروقهم في مختلف العصور وذلك بفضل استعداد المشرق الكبير للتفتح للثقافة"[2] إن فترة فتح المغرب تعد من أطول الفترات كما أن فترة حكم الولاة لم تكن خالية من القلاقل والثورات ،والصراعات القبلية بالإضافة إلى الخلافات السياسية "المذهبية التي نشأت في المشرق انتقلت إلى المغرب واختلاف اللسانين العربي والمعلي هذه من أهم العوامل التي أخرت في تأسيس حركة أدبية مغربية موازية لتأسيس مدينة القيروان وكان يفترض فيها أن تكون أحد المراكز الأدبية المنافسة للمراكز الأخرى في العرق والشام"[3].

"يقول الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله مقارنا بين النهضتين الأدبيتين بين المشرق والمغرب فإذا كان تاريخ نهضة الأدب العربي في المشرق يبدأ من منتصف القرن التاسع عشر، فإنه في المغرب قد تأخر إلى ما قبل نشوب الحرب العالمية الاولى ...

---

[1]- الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والإدريسية، العربي دحو، ص 39

[2]- مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د-ط، 1986، ص 68

[3]- الفضاء المغاربي :(مجلة):محمد مرتاض، ص 79

وذكر الحجاب بين المشرق والمغرب قد ازداد كثافة بعد سقوط الجزائر في قبضة فرنسا سنة 1830 ثم تونس1881 فأصبح المغرب في غيبة في العالم من تطورات"[1].

"كما يمكن إرجاع الجفاف في الإبداع الأدبي المغربي كما يقول إبراهيم الدسوقي إلى أن فاتحي المغرب كانوا يمنيين"[2].

"ففي مقدمة كتاب الأدب المغربي :نقرأ "سار الأدب العربي في المغرب على غرار صنوه في الأندلس، بل شأن غير من الآداب العامة، قوة وضعفا، وقوة في عصور الازدهار، وضعفا في عصور الانحطاط ملونا بلون تلك البيئة التي نبع فيها، وكما تأثر بالأدب الأندلسي قليلا أو كثيرا فقد أثر فيه كذلك.

كما أن أدبنا العربي، في شمال أفريقيا، لقي كثيرا من إهمال الدارسين، في عالمنا العربي. وقد يكون سبب إعراض هؤلاء الدارسين عن دراسة الأدب العربي في المغرب بحجة أنه لم يأتي بجديد وأنه ليس إلا صورة للأدب المشرقي ومحاكاة له"[3].

[1]- الأدب المغربي إشكاليات وتجليات: إبراهيم المسدلي ومحمد الظريف، ص 199

[2]- الفضاء المغاربي :(مجلة):محمد مرتاض، ص 80

[3]- الأدب المغربي إشكاليات وتجليات: إبراهيم المسدلي ومحمد الظريف، ص 199

الفصل الثاني

الحضارة الزيانية وآثارها

- أصل بني عبد الواد
- حدود الدولة الزيانية
- دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة
- آثار العبد الوادية (الزيانية)
- اثر الأندلسيين في المجتمع الزياني

أصل بني عبد الواد:

شهد النصف الأول من القرن الثالث عشر نظاما جديدا ينتهي في شمال إفريقيا، وإذ انهارت الإمبراطورية المنشأة من طرف الموحدين، انقسمت ثلاث سلالات حاكمة هذا الميراث الواسع، ومن بينها ما وجد في الجزء الأوسط وهي دولة بني عبد الواد أو دولة الزيانيين[1].

ترجع تسمية هذه الدولة بهذا الاسم إلى زيان بن ثابت والد يغمراسن مؤسسها، كما أنها تسمى هذه الدولة بدولة بني عبد الواد "العبد الوادية" إلى عسلة عبد الواد التي ينتمي إليها بنو زيان[2]. فقد كان بنو زيان ولاة الجزائر من قبل الموحدين وعندما ضعف أمر الموحدين انفصلوا بالمغرب الأوسط [3].

وتمكن بنو عبد الواد من تأسيس دولتهم عام 633 هجرية 1235ميلادية وكانت عاصمتهم تلمسان وكان بنو عبد الواد من الرحل التي كانت تجوب صحراء المغرب الاوسط وكانوا ينتجعون المراعي الخصبة ويترددون على المواقع التي تقع مابين فحيج ومديونة وجبل راشد[4]. وان بني عبد الواد فرع من فروع الطبقة الثانية من زناتة الكبيرة استقروا ومنذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية للجزائر، وكانت تمتد مواطنهم من تاهرت الى نهر ملوية[5]. لقد كان بنو عبد الواد من ولد بادين محمد اخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد، وكان نسبهم يرتفع إلى زحيك بن واسين بن ورشيك بن جانا[6] ابن مسرى،

---

[1]- مدن الفن الشهيرة: تلمسان: جروج مارسي، دار النشر التل، الجزائر، د-ط 2004، ص 36.

[2]- المغرب العربي في العصر الإسلامي: محمد حسن العيدروس، دار الكتاب الحديث، القاهرة ط1، 2008، ص 212

[3]- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي: علي محمد الطلابي، دار المعرفة بيروت ط2، 2005، ص 502

[4]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، موقع للنشر والتوزيع الجزائر 2002، ص 14

[5] مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط: يحي بوعزيز، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 1985، ص 41

[6]- تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ص 84.

بن زكيا بن ورشيح بن مدغيس الابتر بن برين قيس عيلان وفي ولد سجيح يلتقي نسب بني عبد الواد بنسب بني عمومتهم بن مرين[1]. فكان بنو عبد الواد يتكونون من عدة بطون منهم:.بنو ورسطيف وبنو القاسم ومن هذا الأخير كان ينحدر بنو عبد الواد فلقد كان لبني عبد الواد عدة قبائل مناصرة لها وأخرى محايدة لها فنجد من بين القبائل البربرية عامة والزيانية على وجه الخصوص التي ناصبت العداء وخرجت ضد بني زيان وتحالفت مع أعدائهم، فنجد أبناء عمومتهم الذين كانوا اشد كرها لهم فمن بينهم قبائل مغرواة وتوجين وصنهاجة[2] كما نجد الذين تذبذبوا في مواقفهم بين تؤيد ومناصر وبين مخاذل ومعادي على سبيل المثال قبيلة بني يفرن ومغيلة في حين نجد قبائل أخرى ناصرت بني عبد الواد وأزارهم ووقفت إلى جانبهم سواء كان التأييد عن ولاء خالص ام نتيجة ضعفها فمنهم: بني واسين أولاد هنديل بني يلومي بني مانو بني تفرين وهوارة وازداجة وبني ورنيد. وغيرها من القبائل التي كان يتشكل منها مجتمع المغرب الأوسط في عهد الدولة العبد الوادية[3].

كما نجد أن المرينيين ارتبطوا مع دولة بني عبد الواد بالمصاهرة,وهناك من حاول أن يربط نسب الزيانيين بالأدارسة العلويين، وينفي نسبهم البربري ولكن ذلك عزما لا مستندا له كما ذكر ابن خلدون[4]، وكما قال يغمراسن بن زيان أبو ملوك الزيانيين لما

[1]- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، أبي زكرياء، يحي بن خلدون، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007،ص 206

[2]- العلاقات الثقافية بين المغرب والأوسط والأندلس خلال العهد الزياني، عبد القادر بوحسون، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2008، ص 7

[3]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ص 17

[4]- مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط: يحي بوعزيز، ص 42

رفع نسبهم إلى إدريس فردا معينا إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله ، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا[1].

فلقد حل بنو عبد الواد الدرجة الثانية مت حيث الكثرة والقوة بعد المرنيين كما استطاعوا فتح حضائر المغرب الأوسط والأقصى مع عقبة بن نافع، وابلو بلاءا حسنا[2]، فبنوا عبد الواد توارثوا مملكة تلمسان أزيد من ثلاثة قرون إلا أن مملكتهم كانت معرضة دائما للغارات والغزو من طرف جيرانهم الحفصيين ملوك إفريقية من الناحية الشرقية والمرنين ملوك المغرب الأقصى من الناحية الغربية[3].

حدود الدولة الزيانية :

شغلت الدولة الزيانية بإقليم المغرب الأوسط وعمل حكامها بدءا بجدهم يغمراسن بن زيان على توسيع حدودها وتثبيت قواعدها و ضم القبائل إلى سلطتهم .

وتمكن يغمراسن من التوسع غربا وصار الحد الفاصل بينه وبين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وادي ملوية كما امتد نفوذه إلى مدينة وجدة[4] وإلى مدينة تاوريرت التي هي اليوم داخل التراب المراكشي على بعد 136كيلومتر غربي وجدة التي كانت مدنها أيضا كما ذكر مسالك الأبصار وتبلغ في بعض الأحيان شرقا إلى أعمال قسنطينة ودلس وبجاية وهي في ذلك تسير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها[5] .

---

[1]- تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، ج7، ص 86.

[2]- مدينة المنصورة المرينية بتلمسان: عبد العزيز محمود لعرج، زهراء الشرق، مصر، ط1، 2006، ص 17.

[3]- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص 73

[4]- العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك: عبد الرحمن بالأعرج، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ، تلمسان، 2007-2008، ص 5

[5]- تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمن الجيلالي، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، 146

فلقد كانت مملكة آل زيان الأصلية من مواطن عبد الواد وأسلافهم بني راشد الممتدة طولا مت البحر الى الصحراء وعرضا من ناحية وادي منية، وجبال سعيدة حيث يجاورون توجين♦ مغراوة♦ إلى ملوية وفيقيق[1].

كانت حدود دولة بني زيان غير ثابتة ,إذ أنها كانت تضيق وتتوسع حسب قوة جيرانها من بين حفص شرقا وبني مرين غربا وكثيرا ما كانت هذه الدولة في أيام قوتها تغير على جيرانها وتتوغل في أراضيهم شرقا وغربا إلاّ أنّها في نفس الوقت كانت تعاني هي الأخرى من غاراتهم ولاسيما بني مرين، فلقد كانت الصحراء جنوبا هي معقل بني عبد الواد ومأواهم الذين يحتمون به[2]، كما أنها كانت تتسع حسب استعداد بني زيان وطاقتهم العسكرية والاقتصادية في بناء دولتهم واستقرارهم، وحفظ أمنهم، وحماية حدودهم والقبائل التي كانت تساندهم وتدعمهم في محنهم[3].

نجد أنّ خلفاء يغمراسن حاولوا تثبيت الحدود التي ورثوها عن مؤسس دولتهم وكان يغمراسن قد ترك وصية لخليفته بنصحه بالتوسع على حساب الأقاليم الشرقية، واتقاء خطر بني مرين[4] ,وبلغت حدودها الجنوبية الغربية إلى سجلماسة "تافيلالت" وشمالا إلى البحر، قال صاحب مسالك الأبصار وهي مملكة كبيرة وسلطنة جليلة قريب الثلثين من مملكة بر العدوة، وهي واسعة المدى، كبيرة الخيرات، ذات حاضرة وبادية وبر

♦- بنو توجين هم من أفخاذ بادين حيث كانوا منافسين لبني عبد الواد

♦- مغراوة شمال وانشريس ووادي شلف إلى البحر ينتهي إلى وادي السبت قرب متيجة وغربا إلى البطحاء ناحية نهر منية،وبطونهم كثيرة منها بنو زنداق بالحضنة حول مقرة، ومنها بنو وار بشلف، ومنها الأغواط فما بين الزاب وجبل راشد.

[1]- تاريخ الجزائر في القديم والحديث:مبارك بن محمد الميلي، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1932، ص 440

[2]- في تاريخ المغرب والأندلس: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية 2003، ص198

[3]- ينظر تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1 موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص 18

[4]- تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، عبد الرحمن بن خلدون، ج7، دار الكتب العلمية بيروت، ط، 1992 ص 189.

وبحر، فلقد استمرت حدود دولة بني زيان مابين مد وجزر وذلك حسب ما تواتيها الظروف[1].

وفي عهد أبو حمو موسى الأول، وابنه أبي تاشفين عبد الرحمن الأول ,توغلت جيوش بني عبد الواد في الأراضي الشرقية وبلغت بجاية وعنابة وحاصرتها بل وصلت مدينة تونس عاصمة بني حفص نفسها في عهد أبي تاشفين، لكنها تراجعت إلى حدود بجاية[2]، كما عرفت الناحية الشرقية تطورا ملحوظا منذ اعتلاء السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن عرش المملكة، كما امتدت حدودها من تخوم شمالا إلى غاية الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب الإسلامي عن إفريقيا السوداء جنوبا[3]، كما بلغوا تيكلات ومنها يذهب الخط جنوب جرجرة إلى البويرة إلى دلس شمالا، ويمر مصحرا شرقي حمزة والمسيلة مزاب إلى تيقورارين[4].

ومجمل القول أن حدود الدولة الزيانية كانت تمتد من تخوم بجاية وبلاد الزاب شرقا إلى واد ملوية غربا، ومن ساحل البحر شمالا إلى إقليم توات جنوبا، كما أن هذه الحدود بقيت في مد وجزر بسبب الغارات التي كانت تشنها كل من الدولتين المرينية الغربية والحفصية الشرقية، وكانت عاصمة الدولة الزيانية دائما تلمسان.

---

[1]- تاريخ الجزائر العام: عبد الرحمان الجيلالي، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، 146

[2]- العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك: عبد الرحمن بالأعرج، ص 11

[3]- العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا: هوارية بكاي، رسالة الماجستير في التاريخ، تلمسان، 2007-2008، ص 14.

[4]- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، ج2، ص 440

دور يغمراسن بن زيان في تاسيس الدولة:

لقد كان بنو عبد الواد عونا للموحدين, فنالوا ثقتهم ,وحصلوا منهم على قطاعات وفيرة بأحوازتلمسان ,فاستقروا فيها منذ ذلك الوقت[1] ,فعند اغتيال خليفة الموحدين أبا الحسن السعيد الملقّب بالمعتصم , بمساعدة ابن عمه يعقوب بن جابر وجندي من جنوده يوسف الشيطان بمركز يغمراسن واستقل بتلمسان تدريجيا بعد ضعف الموحدين وانهازمهم ,وبهذا يكون يغمراسن اللوذعي أول عاهل السلالة العبد الوادية الزيانية المالكة وباعثها إلى حين الوجود[2].

هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد ولد حوالي سنة 603هجرية الموافق ل1206 ميلادية وتولى حكم إقليم تلمسان في عهد الخليفة الموحدي الرشيد بن المأمون الذي كتب له بالعهد على ولاية المغرب الأوسط[3] ,فهو أول من قام بوظيفة الملك,ونظم دوره بعد التفرق ,فنهض واستولى وحل من تراث آبائه في الملك ,فكان خليفة الله المرتضي وسيف حمايته المنتضي[4].

عندما بويع الأمير يغمراسن بن زيان بالإمارة[5] عام 633-681هجرية الموافق 1236-1283 كانت حياته مرتبطة بالخلافة الموحدية بمراكش ,لكنه انفصل عنها أيام الرشيد عبد

---

[1]- في تاريخ المغرب والأندلس: أحمد مختار العبادي، ص 197

[2]- نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان ملوك الدولة الزيانية الجزائرية، الحافظ التنسي، التلمساني، تقديم وتحقيق وتعليق بوطالب محي الدين، منشورات دحلب، الجزائر، د-ط، د-ت، ص 15

[3]- العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك: عبد الرحمن بالأعرج، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، 2007-2008، ص 15

[4]- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: محمد عبد الله التنسي تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 111.

[5]- مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط: يحي بوعزيز، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران، ط، 1985، ص 44

الواحد بن إدريس الذي حاول أن يبقي يغمراسن تابعا لدولته[1] ,فنجد أن يغمراسن عند اعتلائه منصب الخلافة وترأسه منصب الدولة الزيانية كان لا يزال نافعا شابا وبويع بالدولة بعد مقتل أخيه أبي عزة زكرار بن زيان بن ثابت ,فنجد أن يغمراسن أخضع لسلطته كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه واعتنى يغمراسن♦ بتنظيم قوته العسكرية ,كما أنه أحسن السيرة في الناس تدبيرا وكذلك سياسة ,كما أنه وفّر الأسلحة والذخيرة[2] ,كما أنه جمع كلمة أحلافه من زغبة وبني راشد ,فاشتد ساعده وتوطد أمره فاتخذ آبهة الملك وشعاره من جند وتوليه عمال[3] ,فلقد كان أول عمل سياسي قام به يغمراسن هو أنه أعلن استقلال قبيلته بالحكم ,مع الاعتراف الرمزي بالخلافة الموحدية فبذلك تأسست الإمارة العبد الوادية ,كما كان عهد يغمراسن متجها نحو تحقيق السياسة المنشودة بالنجاح والنصر[4].

يعد يغمراسن من اشد سلاطين بني زيان، حرصا على علاقته بقبائل المغرب الأوسط، واعرفهم بمصالح قومه وعشيرته، واستكثر من العشيرة، كما أنه استمال أغلب القبائل العربية ولا سيما منها عرب زغبة وكذلك بطون زناتة، وذلك حتى يتمكن من الدفاع عن دولته من الأخطار التي قد تداهمه سواء من الداخل أو الخارج,فلقد انتقى جيشا من زناتة، وأضاف إليه فرقا من العناصر المختلفة كالغزو الروم وذلك كان في بداية الأمر من الرامحة والناشبة والفرسان كما فرض العطاء واستحدث مجلسا للوزراء

[1]- تاريخ الدولة الزيانية: الأحوال السياسية:مختار حساني ج1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2007، ص9

♦- يغمراسن: معناه في اللهجة الزيانية رئيس القوم

[2]- ينظر: مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط: يحي بوعزيز، ص 45

[3]- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، ج2، ص 439

[4]- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص13

والجدير بالذكر أنه اختار لديوانه نخبة من الكتاب الوافدين إليه من الجاليات الأندلسية المهاجرة، فآثرهم يغمراسن وقربهم من مجلسه[1].

يقول ابن خلدون عن يغمراسن :"كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد بني عبد الواد بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة، وأعرفهم بمصالح قبيلته ,وأقواهم كاهلا على حمل الملك واصطلاحا بالتدبير والرئاسة، مهدت له بذلك آثارا قبل الملك وبعده، وكان مرموقا بعين الجلية مؤملا بالأمر عند المشيخة، وتعظمه من أمره عند الخاصة، ويفزع إليه عند نوائبه العامة علما تولى الأمر بعد مهلك أخيه ظهر على الخارجين وأصارهم في حملته وتحت سلطانه، وأحسن السيرة في الرعية بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار، واتخذ الآلة ورتب الجنود، وفرض العطاء....."[2].

لقد وجدت كل الخصال والمبادئ القوية في السلطان يغمراسن ليكون دولته ويفرض هيمنته على بني عبد الواد فقد كان كفئا لحمل أثقال الملك[3] بالرغم من أنه كان يدرك صعوبة الموقف الذي اصبح فيه كما لكون دولته اصغر دول الشمال الإفريقي واقلها قوة وأنها في موقع لا يسمح لها بالظهور لأنها وقعت فريسة بين كفين[4] .

لما امتاز به يغمراسن عن صفات وخصال أهلته لقيام دورين في وضع الأسس المتينة لدولة بني عبد الواد ومن الملاحظ أنه تميز بموافقه الحربية الكبيرة، خاصة ضد قبائل بني توجدين ومغراوة، حيث خرب مواطنه في محاولة منه لإيقاعهم وضمهم إلى السلطة

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1 موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص 21

[2]- تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، عبد الرحمن بن خلدون، ج7، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1992 ص 93

[3]- ينظر تلمسان عبر العصور : دورها في سياسة وحضارة الجزائر، محمد بن عمر الطمار المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 91

[4]- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي: علي محمد الصلابي، دار المعرفة بيروت ط2، 2005، ص 502

كما نجد انه كانت له مع بني مرين بالمغرب الأقصى عدة حروب طاعنة من جهة، ومن جهة أخرى مع بني حفص شرقا ونجد أنه بالرغم من هزائمه المتعددة أمامهم إلا انه كان يدافع عن مملكته محاولا حمايتها من الأخطار التي تترصدها من كلا الجهتين الشرقية والغربية .كما نجد انه ذكر اسمه في السكة، وفي المقابل نجد بنو مطهر وبنو راشد نازعهم لكنه هزمهم فقد أقام دولته على قواعد متينة فحصنها ودافع عنها بكل ما أوتي من قوة[1].

كانت ليغمراسن بن زيان مواقف سياسية مع جيرانه بني حفص وظهر فيها سياسيا وقد عمل على ربط الصلة عن طريق المصاهرة[2]، إذ أرسل وفداها ما إلى تونس ليخطب ابنة السلطان أبي إسحاق لابنه الأمير وولى هذا أبي سعيد عثمان، ولقد شاءت الأقدار أن يتوفى الأمير يغمراسن من وادي الشلف، بعد أن أستقبل موكب العروس بمليانة سنة680هجرية الموافق 1284ميلادية بحفاوة بلغة تليق بمقامها تكريما لها وإرضاء لأبيها وأيضا خروجه لحمايتها من غارات قبيلتي توجين ومغراوة. فقد تجاوز السبعين سنة ولم يعلن ولي العهد عن وفاة أبيه حتى وصلت العروس إلى بيتها في تلمسان فكانت مراسيم الاحتفال بالزواج موازية لتجهيز جثمان السلطان، فدفن بدار الراحة أو الدورية بالجامع الأعظم فتولى الأمر بعده، ولي العهد ابنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن[3].

فلقد عرفت تلمسان في عهد يغمراسن بن زيان رواجا اقتصاديا كبيرا ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الأمن الذي ساد المدينة وضواحيها ،فقد حارب يغمراسن عناصر الفساد والفوضى بدون هوادة وأرغم خصومه من توجين ومغراوة على الطاعة

---

[1]- العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك: عبد الرحمن بالأعرج، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، 2007-2008، ص9

[2]- تلمسان عبر العصور : محمد بن عمر الطمار المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 91

[3]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1 موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002، ص 24

والخضوع كما شهدت الحالة الثقافية في عهده رواجا لا يقل أهمية، فقد كان يغمراسن شديد العناية بها ، وكذلك كان يقرب العلماء و يشجع العلماء ويجمعهم في بلاطه[1].

آثار العبد الوادية (الزيانية):

مما يلاحظ ان كل حضارة تترك بصمتها على الدولة التي استقلت فيها ،و هذا ما حصل تماما في الدولة الزيانية فقد خلفت آثارا لا تقدر بثمن، فكان كل ملك من ملوك آل زيان يترك ميزاته وبصمته على تلك الفترة فنجد أن السلطان يغمراسن خلف أثارا جليلة بمدينة تلمسان، فلقد شيد الصرح العظيم الذي لا يزال موجودا إلى الآن بجنوب المدينة ولكن لم يبق منه إلا أسواره الشامخة[2]. فهو في بداية الأمر كان يقيم في القصر القديم بتلمسان العليا تاكرارت، إلى أن بني صومعة المسجد الجامع وصارت المأذنة تطل على القصر ولهذا اضطر السلطان أن يغير مقر إقامته فاختار مكانا بجنوب المدينة وبني هذا القصر[3].

كما نجد من آثاره أيضا التي انطمست بنائه باب كشوط عام 668هجرية في الواجهة الغربية من سور المدينة، كما انه حصنها في غاية التحصين[4].

كما انه بني الصومعتين من الجامعين الأعظمين من أقادير وتاكرارت وهي مدينة تلمسان الحديثة ولقد سئل بأن يأمر بكتابة اسمه فيها فأبى فقالها باللغة الزيانية "يسنت ربي " أي علمه لله[1] وفي موضع آخر" عرفه الله"[2]

---

[1]- تلمسان عبر العصور : محمد بن عمرو الطمار، ص 94

[2]- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص 76

[3]- تلمسان في العد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، ص 114

[4]- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ص 77

مما يلاحظ أن السلطان يغمراسن لم يرضى أن يدون اسمه على هذا المعلم الأثري وذلك راجع الى شهامته وتواضعه وثقافته في حب التشييد والعمران.

فقد ذكر الميلي انه :كان آية في الجراءة والدهاء جليلا مهيبا جوادا متواضعا مؤثرا لأهل العلم[3]، فنجد أن ابنه♦ نحى منحاه في التشييد والعمران[4] فكان من آثاره هو الآخر بنائه مسجد أبي الحسن ، ويعد تحفة رائعة كما أنه يشكل نموذجا للفن العبد الوادي في عصر عزها وقوتها[5]. توالت الآثار التي شيدهاال زيان على تلمسان، فهذا أخ يغمراسن السلطان أبو حمو موسى الأول قد بنى وأسس أقبو وبنائه القصر المعروف باسمه على وادي تهل قرب مازونة. ويعرف اليوم باسم حمو عمر موسى.

يقول عبد الرحمان بن خلدون وكانت قصور الملك بتلمسان لا يعبر عن حسنها اهتم بها أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين واستدعيا الصناع والعملة من الأندلس[6].

فنجد أن هذا الملك هو الذي أطلق على الدولة اسم الدولة الزيانية بعد أن كانت تسمى بدولة بني عبد الواد لما أراد أن يعيد حيويتها مثل ما كانت عليه في عهد يغمراسن[7]، دون أن ننسى ابنه أبي تاشفين الأول فقد بنى المدرسة التاشفينية الشهيرة التي

---

[1]- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: محمد بن عبد الله التنسي، تح محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص 125.

[2]- مدن الفن الشهيرة تلمسان: جورج مارسي، دار النشر التل الجزائر، 2004، ص 41

[3]- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، تقديم وتصحيح محمد الميلي، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر 1932، ص 457

♦- ابنه هو ابو سعيد عثمان يغمراسن، تولى الأمور بعد وفاة ابيه، واتبع وصيته في مسالمة بني مرين

[4]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، ص 116

[5]- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص59

[6]- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، ج2، ص 485

[7]- مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، يحي بوعزيز، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1، 1985، ص 58

أشاد بها المؤرخون ووصفوها كما امتازت به من إتقان وتشييد وجمال زخرفها[1]، لكن لم يبق لها وجود فقد حطمها الاستعمار سنة 1275 هجرية الموافق ل: 1859 ميلادية[2]، فلقد بنيت في مكانها دار البلدية و شيدت ساحة عمومية إلى جانبها[3] .

فلقد ذكر ليون الأفريقي :ان تلمسان بلغت على عهد أبي تاشفين سنة عشر ألف منزل مما يدل على مكانة هذا السلطان وحبه إلى التشييد كأجداده الأوائل التي نحا دوبهم[4]. فاعتبر عهد أبي تاشفين الأول عصر ازدهار العمران بتلمسان فكان ولوعا ببناء القصور الأنيقة واشتهر من بين قصور ثلاثة هي دار الملك، دار السرور، ودار أبو قهر لكن لم يذكر المؤرخون عن مكان موقعها شيئا[5]

فلقد ذكر المقري في نفح الطيب حيث قال رأيت مكتوبا على دائرة مجرى الماء بمدرسة تلمسان التي بناها أمير المسلمين ابن تاشفين الزياني هذه الأبيات :

انظر بعينك ببهجتي وسنـــــائي وبديع إتقاني وحسن بنائي

وبديع شكلي واعتبر فيما ترى من نشأتي بل من تدفق مائي

جسم لطيف ذائب سيلانـــــه صاف كذوب الفضة البيضاء

قد حف بي أزهار وشي نمقـــت فغدت كمثل الروض عبر سماء[6]

[1]- الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (مجلة): عبد الحميد حاجيات، إصدار وزراء الاتصال والثقافة، ع114، الجزائر، 1997، ص 21

[2]- تاريخ الجزائر العام عبد الرحمن الجيلالي، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط7، 1994، ص 242

[3]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، ص 14

[4]- تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، ج2، ص 485

[5]- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره: عبد الحميد حاجيات، ص61

- [6]تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، ج2، ص 486

ومن آثار الدولة الزيانية الذي لا يزال ماثلا للعيان هو ما بناه السلطان أبو حمو موسى الثاني ضريح الوالي إبراهيم المصمودي والجامع المحاذي له ويحمل اسم الوالي الذي يمثل تقدم الفنون المختلفة وبراعة الفنانين والصناع[1] أبو زيد عبد الرحمان (ت:743-1342) وأخوه أبو عيسى (ت:749-1348) حيث كلفهما أبو حمو موسى الثاني بإدارة التعليم والتدريس بها و لم يبقى من هذه المدرسة إلا المسجد الصغير بمنارته،الذي أسس بجانبها ولا يزال قائما إلى اليوم و الذي يعرف عند أهل تلمسان باسم جامع سيدي أولاد ليمام[2] .

ومما يسجل أن الكثير من ملوك الدولة الزيانية من أبناء أبي حمو الثاني وأحفاده، كانوا يشجعون العلماء ويدعمونهم ماديا ومعنويا وكان عهدهم عهد تقدم حضاري[3] دون أن ننسى ان أبو حمو موسى الثاني كانت له قرحة شعرية، ومواهب عديدة في فنون الأدب وكذلك السياسة أيضا[4].

[1]- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره: عبد الحميد حاجيات، ص181

[2]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، ص 142

[3]- تاريخ دولة الأدارسة: من كتاب نظم الدروالعقيان: عبد الله التنسي تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د-ط، 1984، ص11

[4]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج2، ص 468

اثر الأندلسيين في المجتمع الزياني :

عرف المغرب الأوسط توافد العديد من الاسر الأندلسية خصوصا في فترة الأزمات السياسية للأندلس[1]. فنجد أن الهجرة الأندلسية قد بدأت مع بداية ضعف المسلمين في الأندلس، وتوسع النصارى على حساب المراكز الإسلامية، فكان من أسباب الهجرة إلى تلمسان ترجع إلى عاملين أساسيين :

أولهما: أن أراضي الدولة الزيانية كانت تشكوا من انهيار ديمغرافي تواصل خلال المراحل التي مرت بها الدولة نتيجة لكثرة الاضطرابات التي أدت إلى مقتل الكثير من سكانها وهجرة البعض الآخر،وقد ذكر لنا الحسن الوازن أن مدينة شرشال كانت خالية من السكان، وقد عمرت من قبل مهاجري غرناطة.

ثانيهما: مأساة الأندلس بدأت هذه المأساة، من بداية انهيار ذلك الصرح الكبير الذي أقامه الأمويون بالأندلس، فبدأ عصر الدويلات والطوائف، وكانت هذه بداية النكبة التي أصابت المجتمع الأندلسي، وقد كان لسقوط طليطلة عاصمة مملكة بني ذي النون بداية لسقوط الأندلس، وهي أول حضارة أندلسية كبرى، وكما نجد أن لموقعة إقليس وفراعنة والعقاب أكثر وكان في هذه الأخيرة الغلبة للإسبان[2].

ومما يلاحظ أن الهجرة الأندلسية إلى أراضي المغرب الإسلامي، وخاصة الأراضي الزيانية كان لنتيجة ظروف سياسية جعلت هؤلاء النازحين الأندلسيين يتركون بلادهم ويتوجهون إلى المغرب الإسلامي.

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، ص 173

[2]- تاريخ الدولة الزيانية: مختار حساني، ج3، دار الحضارة، الجزائر ط1، 2007، ص 221-222

إن منطقة المغرب الأوسط هي قريبة من الأندلس، وكانت تربطها بالدولة الزيانية علاقة سياسية، واقتصادية ،وأخرى ثقافية، وكان ذلك منذ الفتح الإسلامي للأندلس[1] فكثر عدد المهاجرين الوافدين خلال العهد العبد الوادي الزياني ولاسيما بعد أن استولى الاسبان على قواعد البلاد مثل طليطلة وقرطبة واشبيلية سرقسطة وبالنسية وغيرها[2].

ونجد أن السلطان يغمراسن التلمساني أعطى أهمية كبيرة لموضوع المهاجرين الأندلسيين ،والدليل على ذلك أنه استوفاهم بالعناية الكبيرة ،كما أكرم أعيانهم في غاية الإكرام والحفاوة، كما أنه أعطاهم الحق في السكن وتملك أراضي صالحة لنشاطهم ومناسبة لهم وذلك حتى بالأمان والراحة التي فقدها في أوطانهم من جراء أوضاع التي شهدها[3].

يصرح ابن خطاب بأن يغمراسن ،فضل أن يسكن الأندلسيين مدينة تلمسان على جميع المدن الأخرى وفي هذا الصدد يقول:"وأطلع على أغراضهم السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكن على سائر البلاد، فلوحظ منهم النية واعتبرها وأظهر عليهم مزايا مالهم من هذه وأذن أيده الله لهم ولمن شاء من أهل تلمسان."[4] وكانت بدورها بجاية كانت تزخر بالعلماء والأدباء الجزائريين بالإضافة إلى وجود نزلاء، أندلسيين بالموقع[5].

---

[1]- تاريخ الدولة الزيانية: مختار حساني، ج3، دار الحضارة، الجزائر ط1، 2007، ص 90

[2]- باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995، ص 401

[3]- ينظر: تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج1، ص 174

[4]- تلمسان في العهد الزياني: عبد العزيز فيلالي، ج2، ص 175

[5]- تلمسان عبر العصور : محمد بن عمرو الطمار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 95

هذا مما يدل على نزوح الأندلسيين إلى مختلف البقاع الجزائرية، وتواجدهم بكثرة وبصفة خاصة في المحافل التلمسانية التي أثرت على المجتمع الزياني بصورة اكبر.

وكان أن بلاط السلطان يغمراسن يزخر بالكتّاب والشعراء، فهذا الشاعر الأندلسي أبو بكر بن عبد الله ابن داود بن خطاب[1] كان مرسلا بليغا وكاتبا مجيدا، وشاعرا مجيدا[2]، الذي عينه السلطان كاتبا في مجلسه[3]، وكان هذا الشاعر الأندلسي يتولى تحرير جميع رسائله إلى كل الجهات خاصة تونس، والمغرب والأندلسي وذكر ابن خلدون عن هذا الشاعر أن رسائله كانت شهرة في بلاطات الإمارات الإسلامية[4]، وهذا ما أشار غليه التاريخ وسجله في كتبهم بأن هناك عدة رسائل وقصائد أنشأت لملوك بني زيان[5].

وما لا نغفل ذكره هو أن المهاجرين الأندلسيين كان لهم تأثير إيجابي على المجتمع الزياني، وذلك بنشر الفنون الأندلسية في أوساطه، فازدهرت الثقافة[6]، فعندما وفدت إليها هؤلاء المهاجرين الأندلسيون كان لهم دور فعال، فقد أتى عدد لا يحصى من العلماء والأدباء والفنانون الذي وجودا الحفاوة والتكريم من طرف ملوك بني زيان، كما لا يخفى على أحد أن الأندلسيين متفوقون على سواهم من الدول في العلوم والفن

---

[1]- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: عبد الله التنسي، ت ح محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 125.

[2]- تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر، عبد الرحمن بن خلدون ج7، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1992، ص 93

[3]- العلاقات الثقافية بين المغرب الاوسط والأندلس: عبد القادر بوحسون، مذكرة ماجستير تاريخ المغرب الإسلامي، تلمسان، 2007-2008، ص 19.

[4]- مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، يحي بوعزيز، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط1 1988، ص 44

[5]- تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د-ط، 2006، ص 282

[6]- تاريخ الدولة الزيانية: مختار حساني، ج1، دار الحضارة، الجزائر، ط 2007، ص 36

والأدب وحتى الصناعة، فلقد استفاد أهل تلمسان من معرافهم ونتج عن ذلك الاحتكاك نشاط فكري كبير[1].

فعندما جاءت هذه الجاليات الأندلسية إلى الأسوار الزيانية التلمسانية، أثرت في المجتمع الزياني، بنشر كافة الأمراض الاجتماعية التي كانت تتخيط فيها الأندلس، في مرحلتها الأخيرة، وكما أنها اعتبرت من عوامل انهيار هذه الدولة، فقلد أكثر السلطان الزياني من الجواري وأيضا من مجالس اللهو[2]. فنجد أن المجتمع الزياني قد ورث قسطا وافرا من الحضارة الأندلسية كما أنها نهلت من معنيها الوافر[3].

وتأثر الجزائريون بصفة عامة بالموسيقى الأندلسية، والتلمسانيون، بصفة خاصة، فنجد المجتمع الزياني من أكبر هواة الأغاني والموسيقى، فجمال الطبيعة التي كان يعيشون فيها، واندماجهم بالأندلسيين كانوا يكلفون بالطبيعة والموسيقى[4]. وكانت أن النئة المهاجرة الأندلسية قد أثرت على المجتمع الزياني وخاصة الفئة التي أسكنها السلطان يغمراسن ناحية وادي الوريط، وانتشر على ضفتيه، فقد شيد هؤلاء قرى وبساتين وأسسوا مصانع عديدة ومتاجر كثيرة، بالإضافة إلى غرسهم الأشجار والمزارع المختلفة الثمار فاستفاد منها المجتمع الزياني، كما أنها جلبت للبلاد وأهله الخير والنعمة، كما أقدم بعض المحترفون الأندلسيون في ضواحي تلمسان على إدخال أساليب وطرق زراعية متطورة في تلك الضواحي، وكذلك خارج أسوارها.

---

[1]- الأدب العربي الجزائري عبر النصوص أو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان ج1، الصندوق الوطني تلمسان، ط1، 2001، ص 186

[2]- تاريخ الدولة الزيانية: مختار حساني ج01، ص 53

[3]- أبو محمد موسى الزياني، حياته وآثاره: عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 56

[4]- تلمسان عبر العصور: محمد بن عمرو الطمار المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 260

فهذا المؤرخ ابن الأعرج يقول: "نشروا بين الناس آدابهم وراجت مصانعهم، وقلدهم الناس في فلاحتهم، واعتنائهم بغرس الزيتون، وسائر الفواكه، حتى صارت البلاد وأهلها في حالة زاهية وعيشة راضية". وقوله أيضا: "وكان لعهد نزول الأندلسيين بها، تلمسان، مزداته بالمصانع المفيدة، فما شئت من أطرزة، ومنسوجات الحرير،ولقطن والكتان.[1]."

مما يستنتج من النص أن الأندلسيين أثروا في المجتمع الزياني فقادهم الناس في الفلاحة، وكما أنهم أخذوا آدابهم، ناهيك عن تأثرهم بالموسيقى الأندلسية، كما أنهم بنوا مصانع سليمان، فكل هذا اتجاه ايجابي لدى المجتمع الزياني من الأندلسيين.

كما أن المساجد والقصور التي تحلت بها تلمسان شاهد قوي على رقى الحضارة، كما نجد أن التعمير كان تابعا صبغة أندلسية[2]، فنبرز ذلك التأثيرات المعمارية واضحة في معالم الجامع الكبير بتلمسان، الذي يعد أحد أهم وأعظم مساجد المغرب الأوسط والذي يشبه إلى حد كبير جامع قرطبة، لاسيما في المحراب، كما نجد أن ملوك وسلاطين بني زيان اهتموا بالتعمير والتشييد إلى أنهم حرصوا على جلب المهندسين والضاح الأندلسيين[3].

ولقد تشبع المجتمع الزياني بالفن الموسيقي الأندلسي الغرناطي، فتكونت بتلمسان مدرسة موسيقية خاصة حيث حافظت على جانب كبير من هذا التراث الفني العتيق، فنجد أن بعض الأسر الأندلسية متنت علاقتها مع الدول الزيانية وذلك بحسن تصرفها في

---

[1]- تلمسان في العهد الزياني، عبد العزيز فيلالي، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د-ط، 2002، ص 177

[2]- تلمسان عبر العصور أمحمد بن عمرو الطمار، ص 259

[3]- العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني: عبد القادر بوحسون، مذكرة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، تلمسان، 2007-2008، ص 127

المال كاسرة بنو الملامح القرطبيون الذين نزلوا بتلمسان، فاتخذهم بنو عبد الواد أمنا، على بيت المال، وخوضوا إليهم كذلك في ضرب السكة من دنانير ودراهم[1].

وصفوة القول إن الأندلسيين أثروا في المجتمع الزياني في مختلف الميادين، فنجد أبرزها ميدان الإدارة حيث تقلد هؤلاء، مناصب في الدولة الزيانية، وهذا راجع إلى تجاربهم فيها، وكما أنهم يتحلون بالأمانة والصدق والسيرة الحسنة فمنهم أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي المرسى: كما نجد هناك من الأندلسيين الذي زاروا تلمسان وأثروا فيها وكذلك تأثروا بها الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن علي السبطي الشهير بالقلصادي، فلقد كان في نزولا الأندلسيين إلى علماء أثر بالغ فقد ازدهرت الحركة الفكرية بها، حيث قام بها ملوكة عن أفراد هذه الحالية وقد نشروا التعليم بها وذلك بواسطة إلقائهم الدروس بالمؤسسات التعليمية فنجد مثلا الشيخ محمد بن ابي يزيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي العيش الخزرجي الذي قام بأحد مساجد تلمسان بتفسير القرآن لطلاب وشرح أسماء الله الحسنى[2].

[1]- باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان: محمد رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 402-403.

[2]- تاريخ الدولة الزيانية، مختار حساني، ج3، دار الحضارة، الجزائر، ط1، 2007، ص 227.

الخاتمة

إن الأدب المغربي لم يلقى المحافل لدراسته بشقيه النثري والشعري، فإذا عدنا إلى مكتباتنا في التراب الوطني نجدها شبه منعدمة، وذلك عكس مكتبة المشرق فهي تعد حافلة رائجة بهذه المصادر، وما يقال عن الأدب المغربي يقال عن الحضارة الزيانية، فهي الأخرى لم تلق رواجا للدراسة، وإذ وجدنا نتف قليلة تناولتها بالدراسة، وأهم ما توصلنا إليه في بحثنا من النتائج التالية:

1. أن الجزائر لم تبدأ نهضتها الأدبية إلا في القرن الثالث، وكان على أيدي الرستميين، الذين نهلوا المعرفة والعلم من شتى الميادين فقد كان معظم أئمتهم ذواقين لكسب العلم وأنفسهم كانوا علماء ينتهجون سبل المعرفة، فقد انطلقوا من حديد واحد كان منبع الثقافة العربية الإسلامية، وعلى غرار هذا كانت المملكة الرستمية تعتصم بمكتبة غنية وثرية كان يقال لها مكتبة المعصومة، وبهذا لقبت تهرت ببلخ المغرب، فنجد أن منذ التحاق الأدارسة بالجزائر كان لهم تأثير على المجتمع الجزائري، فقد عد الأدارسة من الذين حببوا اللغة العربية إلى البربر، وبالتالي دخلوا وأسلموا في الإسلام، وتعززوا بالسمات السمحة التي كان يتسم بها الإسلام من صفات جعلتهم يتقربون إليه ويسلمون في الدين الحنيف، فنجد أن الأمراء الأدارسة كانوا أنفسهم يتدارسون الشعر ويقرضونه قرضا جميلا فنجد أن أبيات نسبت للمولى إدريس وكذلك ابنه القاسم.

2. تعد القيروان أهم مركز الاشعاع الثقافي بالمغرب، وذلك لما كان لها من اتصال مباشر بالمشرق، فقد هيأت لها جميع الظروف للنشر وبث التعليم، فلم يوجد احد من الأمراء إلا ونبغ في الشعر في جميع أغراضه، سواء من كان قد تولى الحكم أو لم يتولاه، فوجدنا أن مدن الزاب، وغيرها من المدن شدت الرحال مصوبة أعينهم اتجاه المشرق

لنهب المزيد من الثقافة الإسلامية المتواجدة في الشام والعراق مصر وغيرها من بلدان المشرق.

3. نجد أن المغاربة اعتدوا في البداية على المؤلفات المشرقية، لكن فيما بعد استقلوا بإنتاجهم الفقهي، ويظهر ذلك جليا من خلال المصنفات المغربية والتآليف.

4. اهتم الأمراء المرابطون باتجاه الحركة الثقافية منذ وطئت أرجلهم بالمغرب الأقصى، فقد شجعوا الحركة الفقهية، كما وجدنا أن طبيعة المرابطين الصحراويين جعلتهم يبتعدون عن التشبه برجال الأدب والفلسفة بالرغم أنهم امتازوا بالتصوف ونبغوا فيه لكن وجدناه تصوفا رياضيا لا تصوفا فلسفيا، ونلمح ذلك من خلال العصر الذي يليه، فقد أنكر هؤلاء الفقهاء على الغزالي كتابه الأحياء وقاموا بإحراقه.

5. ازدان بلاط المرابطين بالكِتّاب الأندلسيين البلغيين، بالرغم من عدم معرفة أمرائها المرابطين بالعربية، فقد كانوا يتقنون اللغة البربرية ولكنهم ألموا بالعربية وتفننوا فيها.

6. اتصف الموحدين بالأدب، وشجعوه فنجد أن ابن تومرت كان الأب الروحي للأدب، فقد تبحر في علوم الدين والأدب والشعر فشهدت هذه الفترة حركة ثقافية نشيطة.

7. لقد ساهمت عدة عوامل في نشأة الأدب المغربي في الديار المغاربية وذلك بحكم أن المغاربة أجدوا وتعلموا القرآن الكريم، وكان إقبالهم عليه كثيرا، كما نجد أن أفواج من المغاربة هجروا إلى المشرق لنهل العلوم، فتعلموا اللغة العربية وتبحروا فيها.

8. كانت الخيوط الأولى لفجر الأدب المغربي بدأت منذ الفتح الإسلامي للمغرب، فقد عرف عصر الفتوح بعض الشذرات من الأدب المغربي الذين قالوه بعض الأدباء الطارئين على المغرب.

9. كما تعد خطبة طارق بن زياد طفرة في نشوء الأدب المغربي وذلك من حيث المستوى الفكري واللغوي وحتى في نوعيها.

10. لقد عانى الأدب العربي في الديار المغاربية في نشأته تجاهل الكثير من الدارسين، فقد كان جل الأمراء والحكام الملوك في المغرب العربي فقهاء وأدباء وأسهموا في تنشيط الحركة الأدبية في بوادرها الأولى.

11. وجدت عوائق وقفت حاجزا أمام نشأت الأدب العربي في الديار المغاربية فقد وجدت صعوبة في تهيئ الأمن بها كما أنها وجدت صعوبة في نشر اللغة العربية في بلدان المغرب في القرنين الأولين.

12. أضف إلى ذلك انه ضاعت معظم المصادر المغربية التي تعرفنا بما احتوته هذه المصادر القيمة، كما أن تسلط الاستعمار كان حائلا في جمود الثقافة وحصرها في بقعة منعزلة.

13. شهد المغرب الأوسط حركة إمبراطورية، نشأت بعد ضعف الموحدين الذين فقدوا زمام الأمور فتولى الزيانيين المنصب فتقلد مؤسسها يغمراسن بن زيان مهام الدولة، فقد عدت الدولة العبد الوادية من أهم فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة الكبيرة وكان هؤلاء يجوبون صحراء المغرب الأوسط، فأسسوا مدينتهم بتلمسان عام 633هـ.

14. استطاع يغمراسن بدهائه السياسي والفكري أن يوسع نفوذ منطقته فتوسع غربا وكان الحد الفاصل بينه وبين دولة بني مرين للمغرب الأقصى واد ملوية، فد بقيت الدولة الزيانية في مد وجزر على حسب الغارات وكذلك حسب قوتها سياسيا وعسكريا.

15. بويع يغمراسن بالخلاف وهو لا يزال في مقتبل العمر، فبحنكته استطاع ان يؤسس دولته على أسس متينة، وينظمها ويجمع كلمة أحلافه من دولة زغبة وبني

راشد، فقد عد يغمراسن من أشد سلاطين بني زيان، كما وطد علاقته مع مناطق أخرى، خاصة بعد ضم إليه قبائل عرب زغبة وكذلك بطون زناتة.

16. عرفت تلمسان خلال عهد يغمراسن رواجا اقتصاديا كبيرا، كما أنه كان يقرب العلماء ويشجع الأدباء ويجمعهم في بلاطهم.

17. كل حضارة تخلف آثارا وتترك بصمة على تلك المنطقة، فقد عرفت تلمسان عدة آثار بارزة، فنجد أن كل ملك من ملوك بني زيان يرسم وينقش خاتمه على تلك المدينة، فقد وجد قصر المشور الذي لا يزال متواجدا بالمنطقة، كما أن يغمراسن بنى الصومعتين بالجامعين الأعظمين من أقادير وتجرارات، والذي لا يزال ماثلا للعيان الأثر التي تركت بصمتها وهو جامع ابراهيم المصمودي الذي ابتناه أبو حمو موسى الثاني.

18. توافد على المغرب الأوسط أعداد كبيرة من الجاليات الأندلسية التي تركت أثرا في المجتمع الزياني، فقد اكتسب منها الجزائريون بصفة عامة والتلمسانيون بصفة خاصة الموسيقى الأندلسية، كما أن المجتمع الزياني ورث من الحضارة الأندلسية قسطا وافرا من شتى العلوم والفنون ونهلت من معينها الوافر.

19. وما يجدر ذكره أن المغرب الأوسط شهد تطورا ملحوظا في الفلاحة بسبب ما اكتسبه من الجالية الأندلسية، فنجد أن الدارسون يقبلون على دراسة العلاقات الموجودة ما بين الأندلس والمغرب الأوسط، في حين ينسون أهم نقطة وهي دراسة الأدب المغربي الحديث بشقيه النثري والشعري، فلماذا لا تكون هناك دراسة شاملة للأدب المغربي حتى تزخر المكتبات الجزائرية به؟

قائمة المصادر والمراجع

1) أبو حمو موسى الزياني: حياته وآثاره، عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 1974.

2) أدب المغرب العربي قديما: عمر بن قينة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر سنة 1994.

3) الأدب العربي الجزائري عبر النصوص أو إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان ج1، الصندوق الوطني تلمسان، ط1، 2001،

4) الأدب المغربي إشكاليات وتجليات: إبراهيم المسدلي ومحمد الظريف، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2006.

5) باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، عاصمة دولة بني زيان، الحاج محمد بن رمضان شاوش، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1995.

6) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، أبي زكرياء، يحي بن خلدون، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007،

7) تاريخ ابن خلدون المسمى: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون، ج7، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.

8) تاريخ بني زيان ملوك تلمسان: محمد بن عبد الله التنسي، تح محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

9) تاريخ دولة الأدارسة: من كتاب نظم الدروالعقيان: عبد الله التنسي تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د-ط، 1984.

10) تاريخ الدولة الزيانية: الأحوال السياسية:مختار حساني ج1، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، ط1، 2007.

11) تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي: علي محمد الصلابي، دار المعرفة بيروت ط2، 2005.

12) تاريخ الأدب الجزائري: محمد الطمار، تقديم عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006م .

13) تاريخ الجزائر العام: عد الرحمان الجيلالي، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

14) تاريخ الجزائر في القديم والحديث: مبارك بن محمد الميلي، ج2، تقديم وتصحيح محمد الميلي، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1932م.

15) تلمسان عبر العصور: دورها في سياسة وحضارة الجزائر، محمد بن عمرو الطمار المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

16) تلمسان في العهد الزياني، عبد العزيز فيلالي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، د-ط، 2002.

17) دراسات في أدب المغرب العربي: سعد بوفلاقة، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، ط1، 2007.

18) الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي: عبد الله علي، وزارة الثقافة الجزائر، 2007.

19) دولة الإسلام في الأندلس: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984.

20) الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات الأغلبية والرستمية والادريسية العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د-ط، 1994.

21) العلاقات الخارجية للدولة الرستمية: جودت عبد الكريم يوسف، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

22) في تاريخ المغرب والأندلس: أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية 2003

23) المغرب العربي في العصر الإسلامي: محمد حسن العيدروس، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2008.

24) مدينة المنصورة المرينية بتلمسان: عبد العزيز محمود لعرج، زهراة الشرق، مصر، ط1، 2006،

25) مدن الفن الشهيرة : تلمسان: جروج مارسي، دار النشر التل، الجزائر، د-ط 2004،

26) مدخل في دراسة الأدب المغربي القديم: العربي دحو، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د-ط، 1986.

27) المغرب العربي: تاريخه و ثقافته:رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

28) محاضرات في الشعر المغربي القديم:عبد العزيز نبوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

29) نظم الدر والعقيان في بيان شرف بن زيان ملوك الدولة الزيانية ، والممالك: الحافظ التنسي التلمساني، تقديم وتحقيق وتعليق بوطالب محي الدين منشورات دحلب، الجزائر، د-ت.

الرسائل الجامعية:

1) الإشعاع الفكري في عهد الاغالبة والرستميين خلال القرنين 2-3هـ-8-9م محمد عليلي ـــ تلمسان، 1429هـ2008م.

2) الأدب العربي على عهد الدولة الرستمية: مقاربة تحليلية عويشة صانف، تلمسان، 1430هـ - 2009م

3) العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والممالك: عبد الرحمن بالأعرج، تلمسان، 2007-2008.

4) العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني: عبد القادر بوحسون، تلمسان، 2007-2008.

5) العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا: هوارية بكاي، تلمسان، 2007-2008،.

6) النثر الجزائري القديم من القرن الثاني هجري إلى نهاية القرن الخامس هجري : أمينة بن عديس، جامعة تلمسان، 2008م.

المجلات:

1) الفضاء المغاربي: (مجلة) محمد مرتاض إصدار مخبر الدراسات الأدبية والنقدية أعلامها في المغرب العربي ع-01 جوان 2002.

2) الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (مجلة): عبد الحميد حاجيات، إصدار وزراء الاتصال والثقافة، ع-14، الجزائر، 1997.

فهرس المواد

فهرس المواد

دعاء افتتاحي

شكر وتقدير

إهداء

المقدمة أ

الفصل الأول: لمحة عن الأدب المغربي قبل العصر الزياني 1

- الحالة الثقافية 1
- نشأة الأدب العربي في الديار المغربية 12
- عوائق نشأة الأدب العربي 18

الفصل الثاني الحضارة الزيانية وآثارها 22

- أصل بني عبد الواد 22
- حدود الدولة الزيانية 24
- دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة 27
- آثار العبد الوادية (الزيانية) 31
- اثر الأندلسيين في المجتمع الزياني 35

الخاتمة 41

قائمة المصادر والمراجع

فهرس المواد